

المغامرون الأذكياء

القصر المهجور

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
نعيم زرزور

دار النفائس

الطبعة الاولى : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
الطبعة الثالثة : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

© دار النفائس

بيروت - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو

الخزانة السرية

تمتع المفتش ، يصحبه أفراد أسرته وباقي أفراد فرقة المغامرين ، بالإجازة الصيفية ، فقد طاف بهم أرجاء بعض المناطق الريفية الغنية بالآثار القديمة والقصور الفخمة التي أضافت مسحة من الجمال على مناظر الطبيعة الخلابة . والمفتش جميل حريص على مكافأة هؤلاء الأذكياء بعد نجاحهم في كل عام دراسي ، وحريص كذلك على تقوية أواصر الصداقة والأخوة بينهم من خلال القيام بهذه الرحلات الجماعية في مرابع الطبيعة فهي تساعد على تثقيفهم أكثر من المقالات والكتب التي تصف أحضان هذه المناطق . . . فالرحلات مصدر من مصادر تكوين الثقافة الواعية العميقة بالإضافة الى وسائل النشر والإعلام المختلفة . . .

استمرت رحلتهم شهراً تقريباً ، شاهدوا خلالها الكثير من مواطن الجمال في ريف بلادهم . . . وكان المفتش سعيداً بهم وبهذه الإجازة الطويلة نسبياً ، والتي لم يتمتع بمثيل لها منذ أمد طويل . . . فقد تحسنت صحته ، وازداد وزنه ، وتخلص من آثار الإجهاد والتعب المتمثلة بهالة سوداء قاتمة ارتسمت تحت عينيه كأنها تحميها من السقوط ، نتيجة للسهر المتواصل ، والاستمرار في ملاحقة القضايا والمشاكل ليل نهار . . .

تَرَك المفتش أفراد المجموعة منهمكين في جمع أدوات المائدة التي اختاروا لها مكاناً قرب النبع ولحقت به السيدة سعاد وهو يقترب من السيارة وسمعته يقول وهو يهم بالركوب :

لو استمرت هذه الرحلة شهراً آخر لما كان بوسعي الجلوس خلف مقود السيارة . . .

ضحكت السيدة سعاد وقالت بفرح وسعادة :

ـ لا تحسد نفسك على التحسن الذي طرأ على صحتك ، فبعد أيام سوف تعود إلى عملك المستمر ليل نهار في ملاحقة الإجرام والمجرمين . . . والله أعلم كم تراكم من القضايا في غيابك . . .

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتي المفتش وقال :

ـ مهما تراكم من قضايا ، فلا أظن أن بينها جرائم خطيرة وإلّا استدعوني بعد قطع الاجازة لحلها . . . ألا تذكري ما حدث في مرات سابقة ؟ ؟ . . .

انتهى أفراد الفرقة من جمع المائدة ولفت إنظارهم جميعاً الحوار الحاصل بين المفتش جميل والسيدة قرينته ، ولم ينتبهوا إلّا على سؤال ليلى لهم وهي تقول :

ـ هل لاحظتم كم هي جميلة العمة سعاد ؟

ارتسمت الدهشة على وجوههم ، فقال لها خالد :

ـ ليلى . . . هل أنت مريضة ؟ . . .

التفتت ليلى بحدة ناحية خالد . وقالت باستنكار :

ـ مريضة . . . ؟ وبأي مناسبة تسألني . . . ؟ هل سمعتني أشكو المرض لك أو لغيرك ؟ . . .

لم يخف خالد ابتسامة ارتسمت على شفتيه وهو يجيبها بالقول :

ـ لا . . . ولكن ملاحظتك عن جمال «ماما» جعلني أشك في مرضك . و . . .

لم تترك ليلى الفرصة لخالد لكي يتم كلامه ، فرمته بنظرة حادة شذرة ، وهي تقول بغضب :

ـ أمرك عجيب ، والله ، أن أتكلم عن جمال العمة سعاد يعني ، في نظرك ، أنني مريضة ؟؟ . . .

تدخل عصام في الحوار وقال بعد أن أفلتت منه ضحكة خفيفة :

ـ العجيب ، يا ليلى ، هو طريقة تعبيرك عن جمال السيدة سعاد وكأنك ترينها لأول مرة . . .

هدأت ثورة ليلى وعادت لترفع أدوات المائدة المتبقية ، ووضعت كل

منها في مكانه المخصص له في صندوق الورق المقوى . . . واردفت تقول :

- خيبتم ظني بكم . . . لأنكم لم تفهموا ما قصدت إلى قوله . . .

اقترب وليد منها وقال وهو يهم بحمل الصندوق إلى السيارة . .

- وماذا كان قصدك . . . زيدينا علماً . . .

انتصبت ليلى بعد أن رفعت الأدوات كافة ، وقالت بجدية :

- لم أقصد الجمال الجسدي وأنا أتكلم عن السيدة سعاد ، بل قصدت أن أعبر عن مدى الحبور والسرور الذي يغمر السيدة دلالة على سعادتها في حياتها الزوجية . . . ألم تلمسوا آثار هذه السعادة بادية على محيا عمّي جميل أيضاً . . . هل ينكر أحدكم استفادة عمي من هذا الجو العائلي المنسجم . . . ألم تلاحظوا الحيوية والنشاط عليهما ؟ . . ؟

لم يترك خالد هذه الفرصة تمر دون أن يثير ليلى ، فابتعد عن متناول يدها وهو يقول مازحاً :

- درس في الفلسفة ؟ . . .

استدارت ليلى نحوه ونظرت إليه نظرة غاضبة متحدية ، فلم يمهلها عصام لتقول ما تريد إذ قال ساخراً هو الآخر :

- لا . . . بل مقال جديد من «مجلة الأسرة» . . .

ابتعد عصام هو الآخر عن متناول يد ليلى التي اتجهت نحوه لتلقنه درساً في الانتقاد والسخرية ، فما كان من وليد إلا أن قطع عليها الطريق ليقول بدوره :

- لا هذا ولا ذاك . . . إنه برنامج «ركن المرأة» . . . بعنوان : «البيت السعيد» . . .

لم تستطع ليلى تحمل سخرية الجميع منها . فصرخت في وجوههم ، وأسرعت تعدو خلفهم ولكنهم تفرقوا بسرعة وسار كل منهم باتجاه ، مما أربك ليلى التي وقفت بينهم حائرة ، وصدى ضحكاتهم يتجاوب في أرجاء المكان ، فاستحال السكون إلى جلبة وضوضاء . . . انتبهت السيدة سعاد لما يجري بعيداً عنها ، وقالت متسائلة :

- تُرى ما الذي فعلوه مع ليلى حتى ثارت بهذه الحدة ؟ . . .

ضحك المفتش جميل ، وقال لها مطمئناً :

- وهل تجهلين مزاحهم معها وأساليبهم الشيطانية في تصرفهم ضدها ؟؟ . . .

وصلت ليلى إلى مكان وقوف السيارة وقالت وهي تلهث والغضب بادٍ على محياها :

- لن أركب معهم . . . خذاني معكما . . .

سألتها السيدة سعاد بحنان :

ـ ماذا جرى ؟ . . . لماذا كنت تطاردينهم بهذه الحدة . . . هل تكتلوا ضدك كعادتهم ؟؟ . . .

أجابتها ليلى بنبرة حزينة ما لبثت أن انتقلت إلى أسلوب التحدي :

ـ إنهم لا يكفون عن السخرية مني . . . ولكن . . . صبراً حتى نعود فكما يقول المثل : « يضحك جيداً من يضحك أخيراً » . . .

ضحك المفتش وهو يستمع قول ليلى فقال معقباً على كلامها :

ـ أعلم أن لكل منهم نقطة ضعف ستستغلينها للانتقام . . .

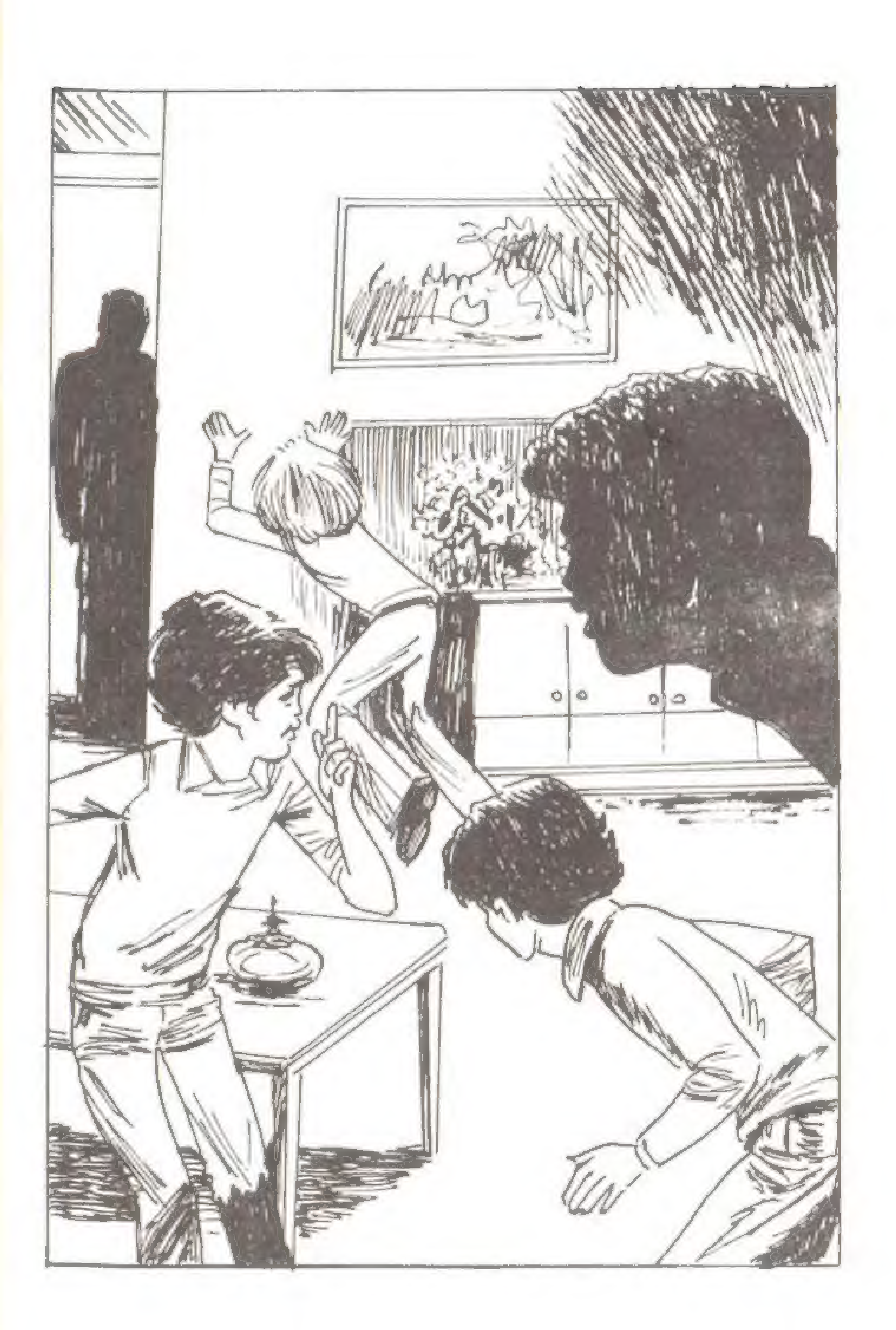
أثنت على كلام عمها المفتش جميل وقالت متوعدة :

ـ نعم . . . خاصة ذلك «الدب» وليد ، سأجعله يتلوى من الجوع قبل أن أستجيب لطلبه وأعطيه ما يريد . . .

لم تكد ليلى تنهى كلامها حتى تتابع وصولهم الواحد تلو الآخر فبادرهم المفتش بالسؤال :

ـ لماذا أغضبتم ليلى . . . ؟ ماذا قلتم لها ؟ . . .

اقترب منها وليد ، محاولاً فتح باب السيارة ، وقال وهو يقلد حركات أحد كبار الممثلين :



- يا للهول . . . ليلى غاضبة . . .

صرخ مبتعداً قبل أن يتم عبارته ، لأن ليلى غرست أظافرها في يده ، مع أنه استمر في أداء دوره في التقليد قائلاً :

- ما هذا يا ابنة العمّ . . . ليلى . . . أنا ابن عمك وليد . . .

لم يكن حظ كل من عصام وخالد أوفر من حظ وليد ، فقد طالتهما يد ليلى لينالا من قرصاتها ما يستحقان من عقاب ، هدأت بعدها ثورتها واستكانت نفسها . . . نظر المفتش إلى هذا الفاصل التمثيلي يدور أمامه ، وهو ما اعتاد على رؤيته منهم بين الحين والآخر ، وحسم الموقف بقوله :

- كفاكم تهريجاً . . فأمامنا مسافة طويلة للوصول إلى منطقة القصور الريفية . . .

التفت السيدة سعاد نحوه وسألته :

- هل سنمضي الليل هناك ؟ . . . لا أذكر أن في المنطقة فنادق للسائحين نستطيع قضاء الليل فيها . . .

قاطعها المفتش جميل بقوله :

- هذا لأنك لم تزوريها منذ مدة طويلة . . . إن هذه المنطقة تشهد نهضة عمرانية مذهلة ، فقد أصبحت منطقة سياحية وفيها أكثر من عشرة فنادق من الدرجة الاولى ، بل الممتازة لاستقبال السائحين . . .

- وهل نستطيع زيارة قصر الأمير السابق يوسف كمال ؟ . . . سأله عصام بلهفة وشوق . . .

أجابه المفتش مؤكداً : . . .

- طبعاً . . . وإن كانت أبوابه مغلقة في وجه السائحين هذه الأيام . . .

تعجبت السيدة سعاد من هذا الأمر ، وسألت زوجها :

- ولماذا ؟ . . . ألم يعتبر متحفاً مثل باقي القصور القديمة .

أجابها المفتش بجدية موضحاً :

- بلى . . . إنه ، كما تفضلت ، جعل متحفاً . . . ولكن اكتشاف خزنة سرية فيه استدعت استقدام لجنة خاصة وخبراء للكشف عن محتوياتها . . .

استرعى الخبر انتباه جميع أفراد الفرقة ، فقد كانت مثل هذه الأخبار تثير لديهم الرغبة في التعرف على الخفايا التي يلفها الغموض ، وهمّ أحدهم بالسؤال ، ولكن المفتش استرسل بكلامه موضحاً الأمر ، فقال متابعاً . . .

إذ بينما كان العمال يقومون بترميم جناح المطابخ فيه ، سقط أحدهم على تمثال رخامي صغير ، ولما أسرع رفاقه لانتشاله وإسعافه ، وقفوا أمام مشهد غريب والدهشة تعقد ألسنتهم ، فقد كان التمثال يصدر أزيزاً

خافتاً ، وذبذبات معينة لم يفهموا مغزاها إلاَّ بعد أن انشقت القاعدة الرخامية للتمثال ليفتح فجوة ضيقة ظهر خلالها ممر ضيق فرشت أرضه ببساط أحمر اللون ، يقود إلى سلم ينحدر إلى الطابق السفلي . . . أبلغ العمال رئيسهم الذي استدعى المشرف على القصر ، وكان من العاملين فيه قبل ذلك ، فما أن علم بأمر الفجوة حتى صرخ :

ـ إنها الخزنة السرية . . . إنها الخزنة السرية . . .

أبرق رئيس العمال بالخبر إلى الجهات المختصة التي أمرت بإغلاق القصر مؤقتاً حتى يتم فتح الخزنة وضبط محتوياتها ونقلها إلى أموال الدولة العمومية ، ولما كانت العملية تستدعي استقدام خبير من المصنع الذي انتج هذه الخزنة ، فقد قامت السلطات المختصة باستدعائه وهو الآن موجود هنا فعلاً ، كما ذكرت الصحف منذ أيام . . .

انتهى المفتش من سرد تفاصيل هذه القصة والكل مصغٍ إليه بانتباه شديد فدفعت الحشرية أحدهم ليسأل قائلاً :

ـ وهل تظن يا عمي أن صاحب القصر ترك بداخلها ما يستحق الذكر ؟ فما من خزنة تمَّ فتحها وكان بداخلها ما يستحق عناء العمل . . .

لم يعقب المفتش على كلام وليد ، بل نظر إلى ساعته وأحسَّ أن الوقت لم يعد مناسباً لإطالة الحوار والأخذ والرد في الكلام ، فقال لهم :

ـ اصعدوا إلى السيارة . . . فالوقت لا يسمح بالانتظار أكثر . . .

مرة أخرى ، مد وليد يده وفتح الباب ، وبهدوء تام ، دخل وجلس إلى جانب ليلى التي رمته بنظرة تحدٍ وهي لا تزال تحتفظ بهدوئها وصمتها . وإزاء برودة أعصاب وليد ، لم يكن بوسعها إلاَّ الابتسام إعلاناً باصدار العفو عنه ، وعن جميع أفراد الفرقة كذلك . . .

مهمة سرية

اعتاد المفتش جميل أن يحجز مسبقاً في أحد فنادق الدرجة الأولى في المنطقة التي يقصدها لقضاء الإجازة مع أفراد عائلته لكي يضمن إقامة ممتعة مريحة دون مفاجآت . . . وهذا ما قام به هذه المرة أيضاً ، فقد حجز ثلاث غرف في فندق الوادي ، وهو من أفخم وأحدث الفنادق السياحية في المنطقة . . . فلم يجد الجميع كبير عناء في الاستمتاع بإجازة ممتعة ، توفرت لها سبل الراحة والرفاهية كافة . . . حمام دافىء ، طعام ممتاز وخدمة جيدة . . .

بعد الظهر ، من يوم وصولهم ، قصد المفتش مديرية الأمن ، وتمكن من الحصول على تصريح لدخول القصر الأثري . وكان يود مشاركتهم ليشرح لهم ما يريدون معرفته عن تاريخ هذا القصر وأصحابه ، ولكن المفاجأة عقدت ألسنتهم وهم يجتمعون إلى مائدة العشاء ، فقد وصلت برقية يطلب فيها مسؤول الأمن المناوب حضور المفتش على جناح السرعة لأمر ضروري . . . نظر الجميع في وجه المفتش متسائلين ، ولكنه حسم الموقف بسرعة ، وقطع حبل الصمت المهيمن عليهم عندما طلب من

مستخدم المطعم إعلامه عن قيام أول قطار إلى العاصمة ، عندها ، نظرت إليه السيدة سعاد بحنان وقالت :

ـ كنت تحسد نفسك ، على هذه الإجازة ، عند الصباح ، . . . ها هي النتيجة . . .

بادلها المفتش نفس نظرة الحنان ، وانتقل ببصره ناحية أفراد الفرقة ، ونظر إليهم واحداً واحداً معبراً عن أسفه لعدم مشاركتهم بقية الإجازة ، قائلاً :

ـ لا عليكم . . . نداء الواجب له الأفضلية . . . في مرة قادمة نستمر معاً ولوقت أطول . . .

قاطع مستخدم المطعم المفتش ، وهو يقدم له جدول رحلات القطار إلى العاصمة ، وبعد برهة ، كان المفتش يطلب منه حجز بطاقة سفر في قطار الساعة العاشرة مساء ، وهو أول قطار يغادر إلى العاصمة ، فيما طلب من السيدة سعاد تحضير حقيبته الخاصة . . .

في المحطة ، كان الجيمع يرقبون لحظة تحرك القطار بأسف ، وعندما تردد في أرجاء المكان صدى رنين جرس المحطة ، ارتفعت أيدي الجميع ملوحة بالوداع . . . وما كاد القطار يغيب عن أنظارهم حتى غادروا المحطة ، سيراً على الأقدام ، باتجاه الفندق القريب . . . فما عليهم إلاّ اجتياز الساحة الفاصلة بينها . . . وعند باب الفندق ، قال عصام :

ـ لا زال الوقت مبكراً . . . فامامنا متسع من الوقت ، وقد رأيت عند بائع الصحف ، في المحطة مجموعة كبيرة من المجلات . . . سأذهب لإحضار بعضها . . .

تقدمت ليلى نحوه وهي تقول :

ـ معك حق ، فأنا لا أستطيع النوم دون قراءة أي موضوع جديد . . . سأذهب معك . . .

اعترضت السيدة سعاد على تصرفها بقولها :

ـ ألم نكن هناك ؟ . . . لماذا لم تحضرا معكما ما تريدان ؟؟ . . . ولكن السيدة لم تحاول منعها ، فهي أرادت لفت نظرهما إلى ضرورة استغلال الوقت وليس هدره بالذهاب إلى المكان ذاته أكثر من مرة في حين نستطيع القيام بما نريد في المرة الواحدة . . . لذلك فقد توجه عصام وليلى ، بعد أن تقبلا رأي السيدة سعاد بقبول حسن ، وقصدا بائع الجرائد ، ووقفا برهة اختارا خلالها ما يريدان من كتب ومجلات ونقدا ثمنها للبائع ، وقفلا مسرعين إلى الفندق . . .

وقبل انصرافهما لمحا شاباً أنيقاً ، قوي البنية ، يرتدي ملابس مميزة عن أفراد المجتمع العاديين ، ووقف الشاب أمام «كشك» الجرائد متظاهراً بمشاهدة المجلات والكتب المعروضة ، في حين كان ينتظر ذهاب رجل كان يشتري كتاباً ، فتقدم من البائع وسأله :

ـ هل وصلت مجلة «نيوز ويك» ؟ ؟

ومضت عينا البائع ، ونظر حوله قبل أن يجيب بصوت هامس ، متسائلاً :

ـ سيدي بذاته ؟ . . .

بغت الشاب ، ونظر حوله بحذر ، وقال له بلهجة قاسية غاضبة :

ـ إخفض صوتك أيها الغبي . . .

تملك البائع رعبٌ فظيع ، وارتعدت فرائصه ، فقال بصوت تخنقه العبرات ، مرتجف . .

ـ عفواً يا سيدي . . .

عاود الشاب السؤال ، وبنفس اللهجة المتغطرسة ، والنبرة الشرسة :

ـ سألتك : هل وصل ومعه المجلة ؟؟ . . .

أراد البائع أن يبرهن له عن حسن نواياه وعن إخلاصه ، فقال بخضوع :

ـ لم يصل بعد يا سيدي ، . . . ولكن بمجرد وصوله سأضع المجلة هنا . . . في هذا المكان ، . . .

وأشار بيده إلى المكان المعهود ، وهو يتابع شارحاً موقفه :

ـ حتى لا تتجشم ، سيادتك ، مشقة السؤال . . .

كان الشاب ينتقل ببصره على عناوين وتواريخ المجلات الموجودة ، فدهش عندما رأى بعضها وقال :

ـ ولكني أرى أعداداً من المجلة قد وصلت إلى هنا بالفعل . . . أجابه بائع الجرائد بهدوء ودهاء :

ـ نعم يا سيدي . . . إنما يبدو أن رسول سيدي لم يحضر بعد . . . فقد راقبت جميع من غادروا القطار ولم أجده بينهم . . . إنني ما زلت أحتفظ بأوصافه كما ذكرت لي . . .

استدار الشاب بعنجهية ، فهو ما تخلى عن غطرسته رغم عزله من منصبه وحرمانه من لقبه ، وسار ببطء مغادراً المحطة باتجاه الفندق وهو يقول :

ـ سأعود الآن إلى الفندق بانتظار وصول القطار في الموعد التالي ، وبعدها سأحضر مرة أخرى .

غادر المكان فانزاح عن صدر البائع العجوز كابوس ثقيل ، فتنفس الصعداء وزال عن عينيه أثر الخوف والهلع الذي خلفهما كلام الشاب ، وكانت الشتائم تنثال على لسانه بيسر وسهولة وهو يتمتم :

ـ لعنة الله عليك . . . تباً لك من متغطرس مغرور . . . حقاً . . . من شابه أباه ما ظلم . . . سحقاً لكم أيها الأنذال . . .

ارتاحت نفس البائع بعد هذا السيل من الشتائم يكيله للشاب ووالده ، فعاد إلى عمله من جديد . . . وبعد برهة وجيزة انتصب أمام « الكشك » رجل في حوالي الأربعين من عمره ، يرتدي معطفاً من معاطف الرحلات ، يضع نظارة سوداء ، ويعتمر قبعة سوداء من النوع الجيد . . . وقف أمام « كشك » الجرائد وتظاهر بالاهتمام بالجرائد والمجلات المعروضة ، فبادره البائع بالسؤال التقليدي :

ـ نعم سيدي . . . ماذا تريد ؟؟ . . .

نظر الرجل الغريب حوله ليتأكد من خلو المكان من عيون الرقباء وأجاب بلغة عربية ركيكة تشوبها لكنة أجنبية ظاهرة :

ـ لا أريد شيئاً . . . إنما . . . خذ هذه هدية لك وبلغه تحياتي .

قال الغريب هذا ، وأخرج من تحت معطفه عدداً من مجلة « نيوز ويك » وناوله للبائع . . . فأدرك البائع أنه الرسول الذي ينتظر وصوله ، لكنه لم يستطع التعرف عليه بسهولة ، كما وصفه له الشاب ، لأنه تنكر بعض الشيء خوفاً من الرقباء . . . أسرع البائع بتناول العدد ووضعه في المكان الذي حدده للشاب . . . وما أن استدار نحو الرجل حتى اختفى من أمامه . . . فلم يكترث له البائع ، بل عاد لمزاولة عمله كالمعتاد .

المقال - اللغز

أخذ عصام مكانه في بهو الفندق إلى جانب باقي أفراد الفرقة ، وإلى جانبه جلست ليلى ، ترافقهم السيدة سعاد ، . . شرع عصام يتصفح المجلات التي أحضرها وعندما تناول مجلة «النيوز ويك» بادرته ببعض صفحاتها الملونة بحبر الطباعة مما يتعذر قراءة المقالات الواردة فيها استشاط غضباً ، ونهض يلعن حظه العاثر ، وهو يقول :

- تباً لهم . . . كأني باصحاب المجلة يريدون لي العذاب . . . سأذهب لاستبدالها بأخرى جيدة الطباعة ، نظيفة .

أتم عصام كلامه وهو يغادر البهو باتجاه المحطة ، وعندما وصل إلى المكان المقصود وجد بائع الصحف يناقش بعض السائحين الأجانب ، فلم يجد من اللائق إزعاجه بموضوع المجلة ، فاكتفى بأن استبدلها بأقرب عدد إليه ، وعاد أدراجه إلى الفندق دون أن يفطن لفعلته أحد . . .

حوالي منتصف الليل ، قرروا الانتقال من بهو الفندق إلى غرفهم ، وعند المصعد التقوا بالشاب الذي رأوه عند بائع الجرائد خارجاً منه يحث الخطى نحو الباب الخارجي ، دون أن يفارقه سمته الخاص ، وكبرياؤه

الأجوف . . . لفت المنظر انتباه الجميع وكان أشدهم استنكاراً ليلى التي عبَّرت سخطها لمنظره بقولها :

- يا إلَهي . . . كم أكره هذا الصنف المتكبر من الرجال . . . أرأيتم كيف يسير هذا الشاب ؟؟ .

ابتسمت السيدة سعاد لملاحظة ليلى ، ولكنها لفتت انتباهها إلى خطورة التعرض لحياة الآخرين بقولها :

- أليس حراً في اختيار الطريقة التي يسير بها ؟؟ . . . لماذا لا يسلم أحد من نقدك اللاذع ؟ . . .

تدخل خالد بالحوار الدائر بينهما ليغمز من قناة ليلى ويتشفى بها فقال :

- كان الله في عون زوج المستقبل . .

توجهت ليلى نحوه بنظرة غاضبة وقالت وهي تريه أظافرها مهددة :

- خالد . . . تذكر أننا في المصعد ولا سبيل لهربك إن شئت ذلك . . .

لاذ بالصمت ، وخنق ابتسامة حاولت أن ترتسم على شفتيه مخافة عقاب ليلى .

غادروا المصعد الذي استقر في الطابق الثالث وتوجهوا نحو الجناح الذي يضم غرفهم ، وكانت أقرب غرفة وصلوا إليها غرفة السيدة سعاد والمفتش جميل ، فانتهزت ليلى فرصة غياب عمها واستأذنت السيدة بقضاء

الليل معها قائلة :

ـ هل أبيت معك هذه الليلة ؟ فالفراش إلى جانبك خالٍ ، سيما وأن في غرفتي سرير واحد يشغل سرور نصفه ؟ . . .

كانت لهجتها رقيقة كعادتها عندما تخاطب من هم أكبر منها سناً ، فكيف لا يظهر أدبها وهي تخاطب السيدة سعاد التي تعتبرها والدة ثانية لها ؟ فلم تستطع السيدة سعاد رفض طلب ليلى ، فابتسمت وأجابتها بالقول :

ـ أتركيه لسرور وفينو وتعالي نامي معي يا حبيبتي ، . . .

دخل بقية أفراد المجموعة إلى غرفتهم ، واستبدلوا ثيابهم بسرعة ، وكان أشدهم حماساً عصام الذي استقر في سريره وبجانبه مجلاته التي استعد لقضاء الليل في مطالعتها ما وسعه ذلك ، فيما تمدد وليد في سريره ولم تنقض بُرهة وجيزة حتى تعالى في أرجاء الغرفة الفسيحة شخيره مما أجبر خالداً على الاستعانة بوسادته فوضعها على أذنيه ليتمكن من أخذ قسطه من النوم والراحة . . . ولكن . . . ما أن دب فيه النعاس وتأقلم مع شخير وليد المعتاد ، وثقلت أجفانه حتى هب مذعوراً ليجد يد عصام تهزه بعنف . . . بهت لهذا التصرف ونظر في وجه عصام مستغرباً ، وصدرت عنه عبارات قصيرة تعبر عن سخطه وغضبه . . .

ـ ماذا جرى لك ؟ . . . هل أصابك مسّ من الجنون ؟ إذا كنت لا

تريد النوم اتركني يا أخي . . . أفٍ لك . . .

أراد خالد الاسترسال ومتابعة كلامه ، ولكنه توقف عندما لفت عصام إلى ما بيده . . . فقال خالد :

ـ نعم . . . ماذا هناك ؟

أشار عصام إلى صفحة معينة في المجلة وهو يقول :

ـ أنظر ماذا وجدت بداخل هذه المجلة ؟ . . .

كاد خالد ينفجر غيظاً من تصرف عصام ، وقال ساخطاً :

ـ أتوقظني من النوم لتطلعني على مقالٍ استهواك مضمونه ؟ . . يا لك من خبير بالإزعاج . . . ألا تعرف اللياقة ؟؟ . . .

أجابه عصام بهدوء وبصوت خافت :

ـ لا تصرخ هكذا . . . قد تكون محقاً فيما تقول . . . ولكن يبدو لي أن الأمر خطير . . .

تناول خالد المجلة من يد عصام ، ونظر الى حيث أشار له ، وفارق النعاس أجفانه ، وراح يمعن النظر ، دهشاً ، لخطورة ما يقرأ . . . ولما انتهى قال كمن يحدث نفسه ، أو كمن يفكر بصوت عالٍ :

ـ يا إلهي . . . إنها رسالة موجهة ، ولا شك ، إلى شخص بعينه . . . وإلاّ ، لماذا تتضمن هذه المعلومات . .

قاطعه عصام ليقول بلهجة العارف المتجاهل :

ـ كيف توصلت إلى هكذا استنتاج . . .

انتبه خالد لوجود عصام بجواره ، وقال له :

ـ ألم تقرأ ما تضمنه . . . انها توجه شخصاً معيناً وترشده الى كيفية فتح خزنة رقمية ، وكيف يتفادى خطرها ، وأين يجب إيداع ما تحويه بداخلها بعد ذلك . . .

أنهى خالد كلامه فيما كانت يده تمتد نحو فراش وليد ، الذي هب من نومه ساخطاً غاضباً . . . وقبل أن يُكمل منشور العبارات الغاضبة قاطعه خالد ليوضح له جلية الأمر . . . فلما استيقظ تماماً ، وهدأت عاصفة غضبه ، تناول المجلة من يد خالد ليتأكد أن ليس في الأمر خدعة لإيقاظه . . . وما أن أتم قراءة المقال حتى قال :

ـ ما أشد دهاء المرسل . . . لقد وضع كل المعلومات اللازمة لإرشاد عميله بطريقة لا تلفت النظر حتى يبدو ذلك كأنه مقال منشور . . .

تدخل عصام ليقول :

ـ لم يلفت نظري في العدد الذي استبدلته وجود مقال كهذا . . .

انتبه خالد لتعليق عصام وقال :

ـ لا شك ، إذن ، انها موجهة إلى شخص معين . . . وإلاَّ لكانت

الأعداد جميعها تحوي نفس المقال . . .

حاول وليد أن يعود للنوم وهو يقول :

ـ ولماذا لا تكون دعاية على الطريقة الأميركية ؟ . . . صحيح أننا أغبياء لنشغل بالنا بموضوع تافه كهذا . . .

نظر خالد إلى كل من عصام ووليد ، وأطرق مفكراً قبل أن يقول :

ـ صحيح إننا أغبياء ، كما يقول وليد ، ولكن . . . أليس ضرورياً الحصول على أعداد أخرى من نفس المجلة لنرى إن كان الأمر مجرد دعاية ، أم أنه كما توقعنا ؟

قال عصام معلقاً ، وقد راقته الفكرة .

ـ احتياطاً للأمر . . . إذهب أنت أو وليد وأحضر عدداً ، أو أكثر من نفس العدد ، ومن نفس البائع . . . إنه يسهر الليل بطوله ، فهو كمحطة القطار لا ينام .

غادر وليد الفراش ، وارتدى ملابسه بسرعة وتوجه نحو باب المصعد ، ولكنه توقف على نداء من خالد وهو يقول :

ـ وليد . . . انتظر لحظة . . .

وتابع كلامه وهو يقترب منه وانخفض صوته قليلاً لأنهما في ردهة الفندق ، ولا بد أن يسمعهما أحدهم .

- يجب أن ندرس الأمر بروية . . .

قاطعه وليد باستغراب ، والدهشة بادية على محياه :

- وما المانع ؟ . . . سأعود بالمجلة حالاً ، ثم ندرس الأمر كما نشاء . .

هز خالد رأسه بالنفي وقال :

- لا يا وليد . . . يجب أن نقدر لكل خطوة قدرها . . . يجب أن نبتعد عن التصرفات السريعة غير مأمونة العواقب .

كان خالد يتكلم وقد أحاطت يده اليمنى خصر وليد ، وتوجها معاً إلى الغرفة حيث يجلس عصام ، فيما تابع خالد كلامه شارحاً رأيه :

- من المتوقع ، برأينا ، أن هذه المجلة بل هذه النسخة بالذات ، مرسلة إلى شخص معين . . . هذا إذا وجدنا باقي الأعداد خالية من مثل هذه الصفحة . . . أليس كذلك ؟ . .

هز كل من وليد وعصام رأسيهما بالإيجاب ، فيما تابع خالد كلامه متوجهاً بالسؤال إلى عصام :

- لذلك . . . أود أن أعرف من عصام طريقة حصوله على هذه النسخة ؟ . . . هل قدمها البائع ، أو هل اختارها عصام بذاته ؟ ؟؟ .

أجاب عصام على الفور عن ظروف حصوله على هذه النسخة ، حتى

توصل إلى القول :

- وعندما عدت من جديد . . . رأيت هذا العدد معلقاً في مكان منفرد ، فتناولته ووضعت النسخة التي كانت معي مكانه وانصرفت . . .

أبرقت عينا خالد ببريق خاطف ، وقال :

- إذن ، لم يرك البائع ؟؟ .

هز عصام رأسه بالنفي وهو يقول :

- لا ، فقد أخبرتك أنه كان مشغولاً مع مجموعة من السائحين . فقدرت أنه ليس من اللائق ، أو الضروري مقاطعته . . . فاستبدلت العدد وانصرفت .

تابع خالد طرح الاسئلة ، وعصام يجيب وكأنه في قاعة الإمتحان :

- وهل كان لدى البائع نسخ أخر من هذا العدد ؟؟

أجابه عصام بثقة . . .

- نعم . . . كانت أمامه رزمة ضخمة ، لا أدري تعداد نسخها ، ولكنها كانت بعيدة عن متناول يدي . . . ولكن . . . لماذا كل هذه الأسئلة ؟؟ . .

تجاهل خالد استنكار عصام ، وعاد يسأل :

- وهل كانت في نفس الجهة التي أخذت منها هذه النسخة ؟؟

أطرق عصام برهة ، كأنه يتذكر بعد أن رسم في مخيلته موضع الكشك وكل ما يحويه ، . . . ثم أجاب .

- لا يا خالد . . . فقد كانت في الجانب الآخر ، حيث حصلت على النسخة الأولى . . .

ابتسم خالد ، وظهرت على محياه علامات السرور ، فقد صح ما توقعه ، لذلك استرخى على مقعده وقال :

- أرأيت . . . لقد احتفظ بها البائع في مكان خاص لشخص معين ، ربما . . . فعادة ما يحتفظ بائع الجرائد والمجلات بأعداد من مجلات معينة لزبائنه ويضعها بحيث يعرفون مكانها بسهولة ويسر . . .

كان عصام ووليد يصغيان باهتمام شديد لأسئلة واستنتاج خالد الذي تابع متسائلاً :

- ماذا سيحدث عندما يذهب الزبون لاستلام نسخته ، بل هذا العدد بالذات ، ولم يجد فيه ضالته ؟؟

أجاب وليد بحركة تمثيلية ساخرة :

- طبعاً ، سيغضب ويثور لمعرفة مكان نسخته .

انتبه عصام لتساؤل خالد ولإجابة وليد ، وقال :

- معنى هذا أن البائع يعلم من هو صاحب المجلة . . . وقد يعرف ما تحمل بين دفتيها . .

أجابه خالد موافقاً :

- أمر لا شك فيه . . . وإلا كيف يحصل هذا المجهول ، بالنسبة لنا على الأقل ، على النسخة التي يهمه الحصول عليها ، والتي حصلت أنت عليها بطريق الصدفة ؟؟ .

هنا ، حك عصام رأسه ، ونهض من مكانه وهو يسأل :

- وما العمل الآن ؟

كان خالد يفكر ، منذ وقع بصره على صفحة المجلة ، بما يجب أن يفعل ، ولهذا اكثر من طرح الأسئلة ليعزز استنتاجه ، ويضع الخطة اللازمة للتخلص من هذا المأزق ، بالنسبة لهم ، وربما لحل لغز استهواهم . . . لذلك أجاب على سؤال عصام بما أدهشه :

- أرى أن نستعمل عقلنا وأدواتنا . . . لذلك سأصور هذه الصفحة ونعيد النسخة إلى مكانها عند البائع . . .

استبد الفضول بوليد ، . . . فهو لم يترك لخالد مجالاً لإتمام ما يريد قوله ، فقاطعه ليقول بسذاجة :

- وماذا يهمنا من إعادتها ؟ . . . لقد حصلنا على النسخة وعرفنا ما

تحتويه . . . فلنترك الأمر للبائع . . . لعله يوضح للزبون أمر النسخة ، هذا إذا كان لكل افتراضاتنا هذه أساس من الصحة . . .

نظر إليه خالد بغضب ، وقال مستنكراً هذا الرأي ، وطريقة تفكير وليد :

ـ وليد . . . أرجوك أن تفهمني . . . إعلم أن الأمر ليس بالبساطة التي تتصورها حضرتك . . . فمن يملك تبديل أو إقحام صفحة في مجلة مثل «النيوز ويك» ليس بالإنسان العادي الذي لا يعمل له حساب . .

فبدل أن يفكر وليد بما يريد خالد توضيحه، أجاب باستخفاف :

ـ فليكن ما يكون . . . ما شأننا نحن بكل هذا ؟؟

اعتدل خالد في جلسته ، واستراح قليلاً ، بعد أن كانت العصبية ظاهرة في تصرفاته مقابل لا مبالاة وليد واستخفافه ، فأخذ يشرح الأمر بجدية وروية : فقال والهدوء ظاهر في نبرات صوته :

ـ هذا هو السؤال . . . ما شأننا نحن ؟ . . . سأجيبك على سؤالك هذا حتى تعلم مدى أهمية ما وضعنا أيدينا عليه . . .

نظر وليد وعصام باستغراب ناحية خالد ، وأصغيا جيداً إلى كلامه ، فقد ربط خالد بسرعة بديهة بين حديث والده قبل السفر عن الخزنة ، وبين المقال في المجلة ، فقال موضحاً قبل أن يسأله أحدهما :

ـ هل تعلما أننا نضع أيدينا ، الآن ، على سر رهيب تسعى الدولة لمعرفته ؟؟؟

عقدت الدهشة لسانهما ، ففتحا أعينهما قبل أن يهتفا معاً :

ـ الدولة ؟؟ . . .

وبنفس الهدوء ، وبنفس الجدية أجاب خالد بثقة على استغرابهما بقوله :

ـ نعم . . . الدولة . . . هل نسيتم ما قاله بابا قبل سفره ، بشأن الخزانة التي تم اكتشافها في القصر الذي سنزوره غداً .

أجابه عصام وهو يهز رأسه بالايجاب قبل أن يقول :

ـ قال إن الدولة أرسلت تستدعي خبيراً من المصنع الذي صنع الخزانة ، . . . وأذكر أنه قال إن الخبير وصل بالفعل . . .

وافق خالد على كلام عصام وتابع :

ـ وما اكتشفناه في هذه المجلة يدل على أن مجهولاً يسعى إلى فتح هذه الخزانة قبل أن تحصل الدول على ما فيها . . . هذا إذا كان رأينا صحيح ، وإن كان المقصود هو خزانة . . . هذا القصر .

وضحت الآن نظرية خالد ، فوافق عصام على رأيه دون تردد ، وعبر عن ذلك بقوله ، والدهشة ظاهرة على محياه :

- يا ألله . . . إنك محق فعلاً . . . ماذا يجب أن نفعل ؟؟؟

استراح خالد كلياً ، فقد اقنعهما بوجهة نظره وصار باستطاعته كشف الخطة لهما ، فقال :

- إن شئنا متابعة الأحداث إلى نهايتها ، علينا القيام بالأمور التالية : أولاً تصوير الصفحة كاملة ، ثم إعادة نسخة المجلة إلى المكان الذي كانت فيه قبل أن يستبدلها عصام ، وبعدها مراقبة محل بيع الصحف لمعرفة الشخص الذي سيحصل على هذه النسخة . . . وفي هذه الحالة يجب علينا مراقبة البائع مراقبة دقيقة ، فقد يذهب الزبون المجهول ويحصل على المجلة كما حصل عليها عصام دون أن ينتبه إليه حتى البائع نفسه . . لذلك يجب مراقبة مكان وضعها في المحل باستمرار . .

جافى النوم عيون الشياطين الثلاثة ، وليد وعصام وخالد ، فلا عجب فهم على أبواب حل لغز مثير ، وهم يندفعون في طريق المغامرة حتى النهاية ، . . . هب عصام من مكانه وأسرع باحضار آلة التصوير التي يحتفظ بها في حقيبته وعاد ليلتقط صوراً للصفحة المحددة والمقال المنشور فيها وهو يقول :

- سألتقط للصفحة عدة صور . . .

وببراعة متناهية وسرعة فائقة قام بعمله خير قيام . . . فقال خالد :

- الآن يجب أن تعاد النسخة إلى مكانها السابق في المحل . . . وعلى

الفور تبدأ المراقبة . . . أنا سأبدأ بالمراقبة حتى الصباح . . . عصام لو سمحت أعد المجلة ، وعليك يا وليد أن تتسلم مهمة المراقبة في السابعة صباحاً . .

نداء الواجب

اتجه كل من خالد وعصام إلى المحطة . . . وعند وصولهما كان المحل شبه خالٍ ، فالوقت متأخر نسبيا ، مع أن القطار على وشك الوصول . . . أخفى عصام المجلة تحت سترته ، واتجه إلى المكان الذي أخذها منه ، فيما كان خالد يحاول إلهاء البائع بالسؤال عن بعض الأعداد من مجلة أجنبية . . . قام عصام بعمله خير قيام ، وتقدم نحو البائع متظاهراً بالفرجة على المحلات منتظراً فراغ خالد من حديثه ليعود كل إلى مهمته . . . سارا باتجاه الفندق ، فتخفى خالد في ركن مظلم بعيد نسبياً عن المحطة ، ولا يصل إليه شعاع النور المنبثق من أنوار المحطة . . . فيما تابع عصام السير إلى الفندق لإتمام المهمة التي بدأها . .

ربض خالد في مكانه واتجه ببصره إلى موضع المجلة وكشك بيع الصحف والبائع . . . فلم تمض دقائق قليلة حتى وصل آخر قطار لهذا اليوم ، غادره بعض الركاب فيما واصل سيره إلى محطة ريفية أخرى . . . بعد قليل خلت أرصفة المحطة من الركاب القلائل وتبعهم موظفو المحطة . . . وحتى بائع الصحف بدأ تجميع معروضاته وإدخالها إلى الكشك فأيقن خالد أن ساعة انصرافه قد حانت . . .

بدأ الملل واليأس يدب في نفسه من إتمام المهمة وإضاعة الوقت ، ولكن منظر شاب قوي البنية ، أنيق الهندام ، يسير بخطى ملفتة للنظر تذكر خالد بتعليق ليلى عليها جعله ينتظر بعض الوقت . كان الشاب يتقدم ببطء وحذر شديدين ، وعند وصوله إلى كشك الصحف قصد مكان المجلة مباشرة وأجال بصره في ما يحيط بالمكان ، ثم . . . تناول المجلة وانصرف دون أن يتبادل مع بائع الصحف بأكثر من تحية المساء . . . سار الشاب بخطى سريعة ، ومر قريباً من مكان خالد الذي برع في التخفي ليظهر بعد مرور الشاب ويتبعه عن بعد . . . عبر الشّاب الساحة متجهاً نحو الفندق وعندما دخله كان خالد في أثره . وعندما ولج خالد إلى بهو الفندق رأى الشاب جالساً في ركن منعزل يتصفح المجلة متظاهراً بقراءة بعض موضوعاتها .

واصل خالد سيره نحو المصعد ، وأسرع في الدخول . . . فهو يريد أن يطير ليصل إلى غرفته لذلك عبر الردهة إلى غرفته بسرعة فائقة ليدخلها لاهثاً وسط دهشة رفيقيه .

تعجب وليد وعصام من وجود خالد بينهما بهذه السرعة ، فندت من عصام عبارة متسائلة :

ـ أراك عدت بسرعة ؟ . . . لماذا ؟؟ . . .

لا زال خالد يلهث فجلس وتنفس بعمق ليرتاح قبل أن يجيب بالقول :



ـ لقد عرفته . .

فغر كل من عصام ووليد فاه ، ونظرا بأعين واسعة الحدقات إلى خالد ، وقالا بعبارة واحدة :

ـ ومن هو . . .

عاد الهدوء الى خالد وارتاح من تعب الطريق ، فقال بسخرية :

ـ إنه ذلك الطاووس المغرور الذي أثار سخريتنا هذا المساء .

تبادل عصام ووليد نظرات الاستغراب ، وفيما كان الذهول من نصيب وليد ، سأل عصام خالداً .

ـ وما هي الخطوة التالية ؟؟ . .

كان خالد يتوقع السؤال فأجاب بجدية واهتمام :

ـ الآن . . . علينا أن نستقصي أخبار الشاب ؟ من يكون ؟ وكيف حضر ؟ . . . لعل معرفة حقيقته تفيدنا في شيء . . .

لم يقتنع عصام بوجهة نظر خالد هذه المرة ، فقال :

ـ لا جدوى من ذلك يا خـالد كما أظن . . . ليكن من يكون . . . فلن تفيدنا معرفة شخصيته في شيء . . . المهم في نظري إعادة النظر في محتوى هذه الرسالة ، والتحقق من بعض العبارات الغامضة التي وردت فيها . .

خرج وليد عن صمته وقال :

هذا رأي سليم ، بنظري ، فلا وقت لدينا نبدده في التقصي عن حقيقة الشاب . . .

أصر خالد على رأيه في أن التعرف على حقيقة الشاب تقودهم إلى معرفة من يعمل لحسابهم . . . هذا إذا كان فرداً في عصابة . . . وبالتالي في معرفة من هم وراء هذه العملية . . .

بالمقابل ، أصر عصام على رأيه فقال :

ـ لا تنسى أننا لن نمكث هنا أكثر من يوم غدٍ أو بعد غدٍ على أبعد تقدير .

تدخل وليد ليدعم وجهة نظر عصام ، فقال :

ـ وغداً صباحاً سنذهب لزيارة القصر برفقة العمة سعاد .

أطرق خالد برهة قصيرة مفكراً ؛ ثم قال مؤيداً رأيهما دون أن يتخلى عن وجهة نظره .

ـ هذا ما لم أحسب حسابه ... مع ذلك لا بأس ... تأجيل التحري عن الشاب الى ما بعد عودتنا من القصر . . . وعلى أبعد احتمال لن تطول رحلتنا أكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات .

استغل عصام انشغال وليد وخالد بالمناقشة فعكف على قراءة الرسالة

واستطاع فهم كل ما جاء فيها بعد أن تغلب على الصعوبات التي اعترضته . . . فتنهد بصوت مسموع وقال :

ـ لقد وضح لي تماماً مضمون الرسالة ، واستطيع القول انني أفهم محتواها جيداً . . .

انتبه خالد لكلامه ، فاجابه بالقول :

ـ وماذا تنتظر لكي توضح لنا مضمونها ؟ . . . دعنا نسمعها . . .

ففض عصام الورقة التي دوَّن عليها ترجمة الرسالة وشرع بالقراءة ، «عندما تصبح في مواجهة الخزانة نفذ القيام بالدورات اللازمة المرفق شرحها في الصورة . . . ومتى انتهيت ، حذار ، كما أفهمتك مواجهة الخزانة . . . وإلاّ تعرضت للموت المحتم فوراً . . . عليك أن تنتظر بعد آخر دورة . . . إلزم مكانك مدة دقيقة كاملة ، بعد انقضائها سيصدر عن الخزانة صوت خافت . . . عندها يمكن إدارة مقبض الخزانة الكبير وفتحها بيسر» . . .

وسكت عصام ، وتفرس في وجهيهما ملياً وقال :

ـ إنها نقطة غامضة المعنى ولا شك . . . هل توصلتم إلى فهم مضمونها ؟ . . . لقد تحدث عن الموت المحقق والفوري . . . ويحذره من مواجهة الخزانة ، فما معنى ذلك ؟ . . . ومن أي نوع هذه الخزانة ؟؟ . .

هز خالد رأسه بالنفي ، وأطرق مفكراً والحيرة تنهش فكره إلى أن قال بعبارة متقطعة ، كأنه يتذكر أمراً مضى . . .

ـ على ما أذكر . . . فقد قرأت في هذا الموضوع كتاباً ، في مكتبة بابا ، عنوانه «الخزائن وطرق وقايتها» قرأت في باب منه عن الوسائل التي لجأت إليها شركات إنتاج بعض أنواع الخزائن على كثرتها ، وبعض وسائل الحماية ضد الغير صنع الخزانة ـ القاتلة . . .

جزع عصام لهذا الكلام ، وقال مستنكراً :

ـ ولكن هذا لا يجوز فإنه يعرض حتى صاحبها للخطر إذا نسي أو سهى عن باله . . .

ابتسم خالد وقال بثقة الخبير في أطباع الناس وأجناسهم :

ـ من كان يمتلك خزانة من هذا النوع لا شك أن يكون حريصاً جداً عليها وعلى ما في داخلها . . . فاحتمال السهو هذا بعيد الاحتمال جداً عنده ، أما إذا حاول لص سرقتها او حتى فتحها فإنه سينال العقاب الذي يستحق . . .

تدخل وليد ليقول رأيه في هذا الموضوع وليسهم في النقاش فقال :

ـ وهل تصل عقوبة السرقة إلى حد الإجرام في قتل السارق . . .

رد عصام في محاولة لإقفال باب النقاش الذي يبدو أنه لن يوصلهم إلى

نتيجة حاسمة ، والوقت يمر دون الاستفادة من دقائقه القليلة ، فقال :

ـ دعونا من هذا الموضوع الآن . . . ليكن الموت من نصيب من قدر له أن يموت . . . المهم بالنسبة لنا الآن معرفة جوانب القضية التي بين أيدينا . . . لا شك أن هذا الشاب هو الذي سيتولى فتح الخزانة طالما أنه المقصود بالرسالة الموجهة في المجلة . . . بغض النظر إن كان يعمل لنفسه أم ضمن عصابة . . .

ظهر على خالد شرود الذهن وإن كان يسمع كل ما تفوه به عصام ، فقال:

ـ كلما تعمقت في التفكير بالموضوع ازددت يقيناً أن خزانة القصر الذي ستزوره غداً هي المعنية بهذه العملية . . .

قال عصام :

ـ يمكننا التأكد ، صباح الغد عند زيارتنا للقصر من صحة ما تقول . . .

توجه كل من وليد وخالد إلى عصام دفعة واحدة ، فقال وليد مستفسراً :

ـ وكيف لنا أن نتأكد ؟؟

أشار عصام بيده نحو الصورة التي التقطها للرسالة وهو يقول :

ـ بالطبع سندخل إلى غرفة الخزنة خلال جولتنا على معالم القصر الأثرية ، وعلى المواقع البارزة الأهمية فيه ؟ فعند وصولنا أمام الخزانة ما علينا إلاّ تجربة ما جاء في هذه الرسالة عن طريقة فتحها .

أبرقت عيناهما ببريق الأمل في نجاح العمل الذي سيقومون به ، فهم يقتربون من حقيقة الأمر والسيطرة على أي مفاجأة قد تعرض لهم . فقال خالد الذي أعجبته الفكرة ، مع خطورة القيام بهذه الخطوة :

ـ رائع يا عصام . . . تفكير سليم . . . كيف لم يخطر لي أيضاً ؟؟

وبسرعة تناول الرسالة ـ الصورة وأجال بصره على الرسم المرفق بها وكان شديد الوضوح، إلى جانب دقة عصام في التصوير وبراعة وليد في التظهير أثناء غيابهما . . فقد كانت مواضع الأقفال ظاهرة بجلاء ويحيط بكل منها سهم نصف دائري يشير إلى الإتجاه الذي يجب اتباعه وكذلك وضع إلى جانبه عدد الدورات المطلوب القيام بها لكل قفل . . . أشار خالد باصبعه على الرسم والرقم الخاص به لينتقل إلى موضع الشرح في الصفحة المقابلة وقال :

ـ إنجاز رائع . . . لقد وضحوا مكان كل قفل ومحوره وحتى لونه ليس صعباً التعرف على الخزانة من النظرة الأولى . . . فإن كانت خزانة القصر هي المقصودة فلن نتردد في فتحها ومعرفة ما بداخلها . . .

كان عصام يصغي مع وليد إلى كلام خالد، وهما يتابعان حركات أصابعه على الصورة ، فلما انتهى خالد من كلامه استنكر عصام رأيه

وقال :

ـ نفتحها ؟ . . . وبأي حق نفعل ذلك ؟؟ . . .

دافع خالد عن رأيه عندما قال :

ـ ليس لنا حق بفتحها هذا أكيد وطبيعي . . . ولكن طالما أن غيرنا يريد فتحها والاستيلاء عليها فنحن أولى أن نفتحها ونضع ما بداخلها، مهما كانت قيمته ، زهيدة أم كبيرة ، بتصرف السلطات المختصة . . .

تدخل وليد في نقاشهما ليعرض ناحية قانونية فقال :

ـ مهما فعلت مع توفر حسن النية ، فان العمل الذي تنوي القيام به غير قانوني بحد ذاته ، وقد يحاسبنا عليه القانون . . . إحذر يا خالد . . .

طوى خالد الرسالة بعناية ، وقال مجيباً :

ـ مهما بلغ العقاب القانوني لنا فإنه أخف من سرقة ثروة وطنية قد يقوم بها هذا الشاب وقد يكون معه عصابة . . . اما الآن دعونا ننام وفي الصباح نرى ما يجب عمله « فسيخلق الله ما لا تعلمون » .

ترك الأمير الشاب ردهة الفندق ، وتأبط مجلته متوجهاً نحو غرفته التي أحكم إغلاق بابها بالمزلاج عندما استقر في الداخل،وجلس خلف منضدة واسعة وضع عليها نسخة المجلة مفتوحة على صفحة المقال المقصود . . وبنهم للقراءة شديد راح يلتهم بعينيه ما جاء في هذه الصفحة من إرشادات .

تهللت أساريره فجأة ، وابتسم ابتسامة صفراء منكرة ، ووثب كالفهد الشرير من مكانه ليحضر من حقيبة سوداء ورقة وقلماً ومسطرة مرقمة ترقيماً دقيقاً . . . وعلى الفور شرع في تخطيط رسم توضيحي لكل ما جاء في الرسالة والرسم المقابل . . . ووضع شيفرة خاصة به عن إتجاه السهم لكل قفل وكذلك عدد الدورات . . . وعندما انتهى من عمله راح يتأمله بدقة وإمعان ، والسعادة المرتقبة بالاستيلاء على كنز ترسم ظلالها على وجهه الكالح . . . وبهدوء . . . طوى الرسم ودسه في جيب سترته وحمل المجلة متوجهاً بها إلى الحمام حيث انتزع منها ما يثير الشبهات أي المقال ـ الرسالة والرسم . . . وأحرقهما . . . وأزال بعدها كل أثر خلفته . . . وعاد إلى غرفته والارتياح ظاهر في تصرفاته .

وبنفس الهدوء ، خلع سترته وارتدى ثياب النوم ، وهجع في سريره يطلب قسطاً من الراحة بعدما انتابه من توتر عصبي بانتظار الرسالة . . فقد زال القلق ، مؤقتاً ، وباستطاعته التنعم بإغفاءة قصيرة حتى الصباح .

المفاجأة ؟

استيقظ الشبان الثلاثة مذعورين ، فيما كانت ليلى تقرع باب غرفتهم بعنف ، وما أن فتح لها خالد الباب حتى اندفعت إلى الداخل تصرخ مستنكرة

ـ يا لكم من كسالى ! . . . ماذا أصابكم ؟ . . . لقد انتصف النهار ولم تستيقظوا بعد ؟ . .

نظر خالد إلى ساعة معصمه وأجاب :

ـ ما هذه المبالغة في هذا الصباح ؟؟ لم تعلن حتى الساعة الثامنة بعد .

تثاءب عصام وقال وهو يقوم ببعض التمارين الصباحية المعتادة :

ـ لقد تأخرنا بالسهر كثيراً ليلة أمس .

ابتسم وليد وقال متابعاً كلام عصام :

ـ يا لها من سهرة .

أثارت كلمات عصام ووليد فضول ليلى التي كانت تنتقل ببصرها بين الجميع ، فقالت تسألهم :

ـ ما هذا ؟ ماذا أسمع . . . ألم تخلدوا للنوم مثلنا ؟ . .

ضحك وليد وأجاب ليلى بقوله :

ـ يجب أن تعرفي كل شيء قبل أن يفلت زمام الأمور من يدنا ، ويصبح من العسير شرح الموقف بوجود السيدة سعاد .

فغرت ليلى فاها ، واتسعت حدقتاها وهي تحملق فيهم وتعجب مما تسمع دون أن تدري ما يدور حولها ، واستبد بها القلق وثار في نفسها فضول غريب . . . فقد أرادت معرفة ما يخبئونه ، فقالت تسألهم :

ـ أي أمر ؟؟ . . . ماذا تريد أن تقول يا وليد ؟ أفصح . . .

تدخل خالد بعد أن أنهى غسل وجهه ويديه ، وراح يشرح الأمر لليلى ، فيما كان ينهي تصفيف شعره، وكانت إمارات الدهشة والذهول والاطمئنان ترتسم على مراحل على قسمات وجهها الجميل ، وكانت تستوعب كل ما يحدثها به خالد الذي ختم حديثه بالقول :

ـ كل المطلوب منك إذن هو صرف اهتمام ماما عن مكان تواجدنا ، والكف عن مراقبتنا ولو لبرهة وجيزة ، أي الوقت اللازم لاكتشاف مكان الخزنة والتعرف عليها .

أطرقت ليلى مفكرة لمدة قصيرة ، رفعت رأسها بعدها نحو خالد لتقول :

ـ لا أظن الأمر بهذه السهولة ، فالسيدة سعاد ليست عجوزاً أستطيع إقناعها بالجلوس في إحدى غرف القصر بحجة أخذ قسط من الراحة . . .

قال عصام مقاطعاً :

ـ هذا صحيح . . . ولكن بالنسبة للخزانة ، يمكنك التصرف معها وكأن الأمر طبيعي جداً دون لفت النظر . . .

شدت كلمات عصام إنتباه الجميع ، وكان أشدهم قلقاً لمعرفة رأيه أخته ليلى التي سألته :

ـ كيف ؟؟ . . .

ببساطة متناهية أجابها بقوله :

ـ تعلمين ، دون شك ، أن اكتشاف الخزانة تم في مطبخ القصر ، فلو أحسنت استغلال هذه النقطة ربما صرفت انتباه السيدة سعاد عن مشاهدة الخزانة . .

أعجبت الفكرة وليداً الذي قال :

ـ يا لك من شيطان . . . تقصد الإيحاء لها بقذارة المكان لوجود الردميات . . . والتهويل في وصف الأتربة والأنقاض . . . وهذا هو

الشيء الذي يقنع السيدة سعاد . . . طالما أن هناك احتمال لتلويث حذاءها أو ملابسها . . .

ابتسمت ليلى قبل أن تقول تعليقاً على كلام وليد :

ـ بدأت تمارس التحليل النفسي . . . كأني بك تستغل معرفتك بتفكير السيدة سعاد . . . يا لك من شيطان ماكر . . .

لم يلتفت خالد لآراء المتحاورين ، فقال يحسم الموضوع حتى لا يطول النقاش بدون طائل :

ـ بقي أمر يجب أن تعرفيه . . . فإذا ما أشرت إليك ، بغمزة مثلا ، تظاهري بأن صداعاً حاداً انتاب رأسك . .

دهشت ليلى لهذا الطلب ، وعبَّرت عن استغرابها بالسؤال :

ـ ولماذا ؟

ـ أجابها : ستعرفين ذلك عندما أشرح دور كل واحد منكم .

ـ وأسرع مع زملائه يعدون ما يلزمهم من أدوات خاصة قد يحتاجونه في عملية كهذه ، وفي هذه الأثناء ، كان خالد يشرح خطوات العملية لليلى ، لكي تعرف الدور الذي يجب عليها القيام به . . . وكالعادة ، وزع خالد الأدوات على الثلاثة ، فاختص لنفسه ما خف وزنه ، وكذلك عصام ، فيما بقي الجزء الأكبر ، والثقيل الوزن من نصيب وليد . . . كانت كل الأدوات رغم دقتها ذات فعالية عالية في عمليات مشابهة . . .

غادر الجميع غرفتهم ، وتوجهوا إلى صالة الطعام الفسيحة في البهو الأرضي ، وانضموا هناك إلى السيدة سعاد التي سبقتهم إليها ، وجلست برهة تنتظرهم وهي تراقب وجوه الحاضرين محاولة كسر الجليد الذي يخلقه وقت الانتظار الممل . . .

تتابع وصولهم ، وكل يلقي تحية الصباح عليها ، وقبلوها بحنان الولد وعاطفته الجياشة نحو أمه الرؤوم ، وتسارعوا نحو أماكنهم حول مائدة الطعام . . . وقبل أن يبدأ حديثهم ونقاشهم الممتع حول المائدة ، فاجأتهم السيدة سعاد بخبر أقلقهم ، إذ قالت :

ـ تحدث المفتش من محافظة الجبل ليبلغكم أن غيابه لن يزيد عن يوم واحد فقط بعد إلغاء المهمة التي استدعي من أجل القيام بها .

بدا الاهتمام على تعابير وجه خالد فسألها بحدة ظاهرة :

ـ ومتى سيصل ؟؟ . .

أجابته أمه بالقول ، والابتسامة ترتسم على شفتيها :

ـ ربما في قطار الساعة السابعة مساء . . .

اختلسوا نظرات ذات مغزى ، عكست إنزعاجهم من الخبر المفاجيء لأنه يدفعهم الى تغيير خططهم وحساباتهم التي تعرضت للفشل ، فكان عليهم الإسراع في تنفيذ عمليتهم قبل موعد وصول المفتش . . .

فرغوا من تناول إفطارهم ، ونهضت السيدة سعاد متوجهة إلى صالون الفندق لتناول القهوة ، وبدأ الحديث الهامس بين أعضاء الفرقة ، فقال عصام :

ـ ماذا نفعل إذا وصل عمي وأمر بالرحيل فوراً ؟؟

أجابه خالد باستسلام وهدوء :

ـ نسلمه القضية فوراً ، ونضع بين يديه المعلومات التي توصلنا إلى معرفتها . . . ولكن . . . لا يمكننا الجزم بصحة تكهناتنا قبل التأكد من ان خزانة القصر هي المقصودة بهذا العمل . . . فربما كان كل ما توقعناه وافترضنا صحته غير صحيح ؟؟

تدخلت ليلى لتقول .

ـ أرى أن تتركوا الأمر للظرف الملائم . . . ولكن علينا أن لا نتأخر أكثر ، فمرور الوقت ليس في صالحنا ، ويجب ألا نثير شكوك السيدة سعاد بتأخرنا ؟

مهمة شاقة

انطلقت بهم السيارة باتجاه موقع القصر ، الذي أثار إعجاب السيدة سعاد عندما وقع نظرها عليه ، مما دفعها للقول :

ـ يا له من قصر جميل . . .

أجابها خالد في محاولة لصرف انتباهها :

ـ والحديقة يا ماما . . . لقد مرت عشر دقائق منذ دخلنا من بوابة القصر ، ولم نصل إلى البناء بعد . . .

كانت ليلى قد أحضرت النشرة السياحية التي توزعها وزارة السياحة ، والخاصة بالقصر ، فقالت وهي تقرأ عن تاريخه وأهم وأبرز المعالم الاثرية فيه :

ـ مساحة القصر عشرة آلاف متر مربع . . . ومساحة الحديقة مئتا فدان وتحتوي على أنواع شتى من الزهور المعروفة . . . ومنها ما ينمو في أجواء معينة ولا تناسبه أجواء بلادنا ، ولكن الهندسة الزراعية كفلت لها سبل النمو . . .

توقفت ليلى عن متابعة القراءة في النشرة عندما وصلت السيارة أمام درج عريض تكسو درجاته طبقة من الرخام الأخضر اللون ، والبديع الصنعة وأسرع نحوهم أحد الحراس في محاولة للتأكد من وجود المستند الرسمي الذي يسمح لهم بزيارة القصر . . . فكان من اللائق انتظاره في السيارة حتى وصوله . . .

أخرج خالد التصريح من جيبه وقدمه له . . . فقرأ ما ورد فيه وأعاده الى خالد بكل أدب وقال :

ـ أهلا بكم . . . تفضلوا . . . في الداخل من سيرشدكم . . .

شكروه على حسن استقباله ، وترجلوا من السيارة متجهين إلى البهو الكبير ، وعيونهم تتنقل على معالم المدخل ، مبهورة من غرائب المنظر . . . وفي الداخل . . . ازداد إعجابهم ودهشتهم لما رأوه من فخامة في البناء ، وسخاء وذوق في اختيار الأثاث . . . ولفت نظر السيدة سعاد ما تدلى من السقف فعبرت عن رأيها بالقول :

ـ ما أروع هذه الثريا . . . كيف يتحمل السقف ثقلها . . .

كانت ليلى تهتم لما هو تحت الثريا ، فهتفت هي الأخرى بإعجاب .

ـ وهذه السجادة . . . إنني لم اصادف أجمل منها حتى في القصور الملكية التي زرناها سابقاً . . .

فيما كانوا مبهورين بفخامة المكان ، تقدم منهم أحد المرشدين المختصين بتاريخ هذا القصر ودراسة معالمه ليقوم بشرح ما يريد معرفته أي سائح ، كان أدبه واحترامه ظاهر في تصرفه حيالهم ، فقد استقبلهم بالترحاب قائلاً :

ـ تفضلوا . . . سنبدأ بزيارة أجنحة القصر في الطابق الثاني ، ثم نهبط الى الطوابق السفلى . . .

كالعادة ، كانت مجموعة حيواناتهم ، فصيح ، وسرور ، وفينو ، ترافقهم هذه الرحلة أيضاً . . . فقد استقر فصيح على كتف خالد ، مكانه المفضل ، فامسك خالد بيد عصام وأخر تقدمه وهو يقول ، محاولاً التخلص من فصيح :

ـ ما كان يجب احضار أعضاء السيرك معنا . . . سنعود بهم إلى السيارة ونلحق بكم . . .

قال المرشد السياحي :

ـ عند عودتكم أرجو أن تصعدوا من هذا السلم . . .

انضم اليهما وليد يقود كل منهم حيواناً ، وتظاهروا بالتوجه نحو الباب الخارجي ، ولما اختفت السيدة سعاد وليلى يرافقهما المرشد ، عن أبصارهم ، قال خالد لرفيقيه :

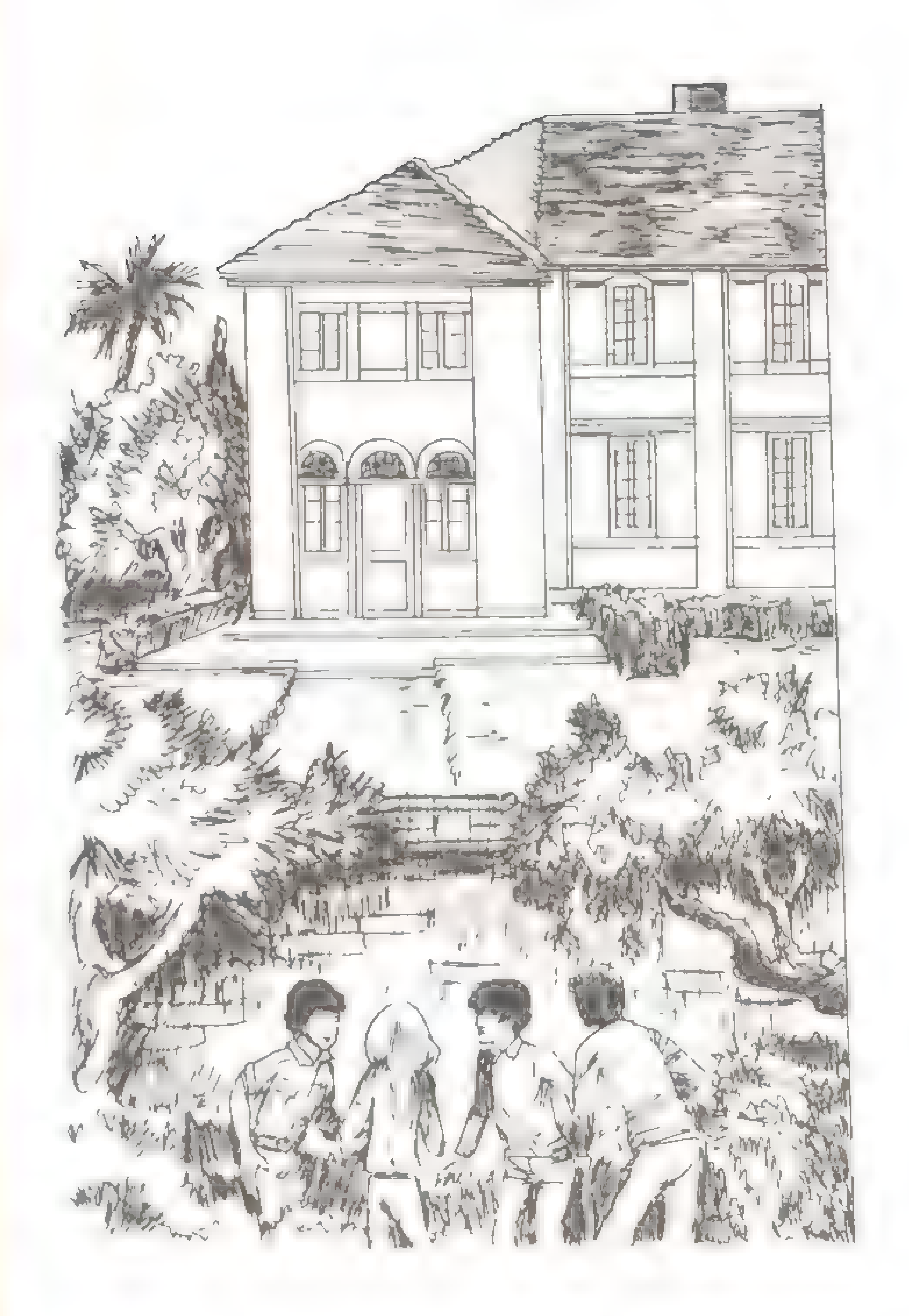
- الآن أسرعوا ناحية المطابخ حيث تحدث أبي عن وجود الخزانة .

وبسرعة ، اخترقوا البهو الكبير لتطالعهم لافتة أنيقة المظهر ، رسم عليها عدة أسهم ، تشير كل منها إلى جناح في القصر وكان السهم الثالث عن اليمين يرشدهم إلى جناح المطابخ في الطابق السفلي ، فاندفعوا مسرعين نحوه ، لا يلوون على شيء ، فاخترقوا رواقاً طويلاً اعترضهم في نهايته باب أنيق ، من خشب الأبنوس ، زينه بلور ازرق اللون . . . تقدم خالد منه بتؤدة وروية وحاول فتحه بحذر ، . . . كان سروره ، لما حصل ، كبيراً ، لقد كان الباب غير مقفل مما سهل دخولهم ، وأغلق وليد الباب خلفه ، وكان آخر الداخلين ، وشرعوا عملية البحث عن الممر الخلفي وبعد الدخول والخروج في عدة ممرات وغرف ، اهتدوا إلى درج تكسوه طبقة من السجاد الأحمر اللون، الفاخر، يقود إلى المطبخ . . . وهناك وقفوا مشدوهين أمام ادوات براقة جذابة ، استرعت انتباههم ، لأول مرة ، منذ دخولهم القصر ، دون سواها من أثاث ، لانهماكهم بالبحث عن مكان الخزانة . . ، وهذا ما حدا بخالد إلى القول بإعجاب . . .

- يا إلهي . . . كيف كانت حياة هؤلاء الناس ؟؟ . . .

.انتبه عصام لتعليق خالد ، فنظر هو الآخر ليرى ما أدهشه فعلاً . . . فقال مستنكراً كثرة الأدوات أمامه :

- ولماذا كل هذا العدد من أدوات المطبخ ؟ . . . إنه ، بلا شك ،



يكفي لطهو طعام مدينة بأسرها . . .

كانت عباراتهم تحمل الكثير من المبالغة ، ولدهشتهم بما رأوا نسوا ، أو كادوا ، المهمة التي وجدوا في هذا الجناح من أجل القيام بها ، ولكن فينو ، تابع سيره وهو يلوح بذيله ، مما نبههم إلى اللحاق به . . . أسرعوا خلفه . . . فيما أخرج خالد ورقة من جيبه وأشار بإصبعه إلى باب امامه ، بعد أن قرأ ما حوته هذه الورقة ، وقال :

ـ من هنا . . .

فتحوا الباب المشار إليه ، وولجوا في ممر ضيق شاهدوا في نهايته آثار الهدم الذي كشف ، صدفة ، وجود الخزانة الضخمة . . . وأمام المدخل ، توقفوا ليستطلعوا ، قبل الدخول في هذه الغرفة ، وبدأ الخوف يدب في أوصالهم لاقترابهم من مكان المجهول المنتظر ، ولكنهم استمروا بالتقدم للقيام بالخطوة التالية .

من الفتحة المخصصة للدخول رأوا ما بهر أنظارهم جميعاً . . . ها هي الخزانة الفخمة تتصدر ، بشموخ ، الغرفة المخصصة لها ، والتي بنيت بإحكام من أجلها . . . وكانت أرض الغرفة قد كسيت هي الأخرى ، بطبقة من السجاد الفاخر ، تكريماً لما تحويه . . . فهذا المنظر أوحى لهم بأن الشموخ والأبهة اللتان تحيطان بالمكان توحيان بالتحدي لمن يحاول اقتحام هذه الخزانة . . . أو حتى الاقتراب منها . . .

أخرج خالد الصورة من جيب سترته ، من جديد ، وقام بالمقارنة بينها وبين الخزانة أمامه ، وهو ينتقل حولها بحذر شديد ، وصاح بدهشة :

ـ يا إلهي . . . إنها هي بعينها . . . إنظر هذا هو القفل الأول . . . وهذا القفل الثاني . . . إنها هي . . .

كانت سبابة يده اليمنى تنتقل بين الرسم والخزانة ، ، مما دفع عصاماً إلى القول بلهفة هو الآخر :

ـ ولماذا ننتظر . . هيا لتنفيذ التعليمات المدونة مع الصورة . . لنرى ماذا سيحصل . . .

تولى خالد القيام بهذا العمل ، فيما كان عصام يقرأ ما جاء في الرسالة ، وأخذت يده تنتقل من قفل إلى آخر وهي تدير كل واحدٍ منها حسب الإرشادات المكتوبة حتى انتهى من القيام بالمرحلة الاولى حسب طلب عصام . . . وابتعد الجميع من أمام الباب بانتظار ما سيحدث . . . كانوا في زاوية الغرفة ، بعيدين عن واجهتها والرعب يسيطر على قلوبهم ، وران على المكان صمت ثقيل استطاعوا خلاله سماع صوت أزيزٍ خافت ينبعث من داخل الخزانة دام لحظة قصيرة ثم . . . صمت نهائياً . . .

قال خالد ، وهو لا يزال مكانه . . . ودون أن يؤكد حقيقة ما يقول :

ـ أعتقد أن الصوت الذي تناهى إلى أسماعنا هو صوت السلاح السري الذي يحمل الموت لمن يفكر في فتحها ، كما جاء في الرسالة . . .

كان عصام أشد حذراً منه ، فأجاب وهو ما زال مسمراً في زاويته :

ـ مع ذلك فلننتظر دقيقة أخرى . . .

مرت الدقيقة والصمت الثقيل ما زال يسود المكان ، حتى خيل إليهم أن ساعاتهم توقفت عن الدوران ، وهم ينظرون إليها في معاصمهم . . . وبعد انقضائها ، تقدم خالد بحذر شديد وأدار مقبض الباب ، فطاوعه بسهولة غريبة لم يتوقعها ، وجذب الباب الضخم بعد أن سمع طقطقة الأقفال المنجذبة إلى أماكنها في الباب . . . وبالسهولة عينها ، وجدوا الخزانة العملاقة مفتوحة أمامهم كأنما تدعوهم لمشاهدة ما فيها . . . ولشد ما كانت دهشتهم لمنظر أوراق النقد المختلفة الجنسيات ترقد مرتبة أمامهم وبأعداد كبيرة ، في طبقتها الوسطى . . . وكانت الطبقة العليا مكونة من عدة أدراج ، بلا مقابض . . . غير أنها مرقمة من واحد إلى ثمانية . . . فتبادلوا النظرات المستفسرة ، وأخذوا يحاولون فتحها ولكن دون جدوى . . . لم يستطيعوا فتحها ومعرفة ما فيها أو بالأحرى لم يهتدوا إلى الطريقة للقيام بذلك . . . توزعوا الأدوار ، فنظر خالد في الرسالة معه ولكنه لم يظفر بما يريد ، بينما انصرف وليد إلى معالجة الأدراج مستغلاً قوته البدنية ، ولم يتمكن من ذلك ، فقد كانت محكمة الإقفال بالإضافة إلى طريقة تركيبها الجيدة . . . وباللحظة عينها انصرف عصام لمراقبة داخل الخزانة وبابها علّه يوفق إلى شيء أو علامة ترشده . . . وقع بصره على لوحة فيها عدد من الأزرار في زاوية شبه مخفية في باطن الباب ، وأمام كل

زر رقم . . . عدّها فاذا هي ثمانية أزرار فهتف بهما قائلاً :

ـ انظرا . ثمانية أزرار مرقّمة . . .

توجها بنظرهما نحو المكان الذي أشار إليه ، فتهلل وجه خالد بالبشر وقال : عصام أرجوك اضغط على أحد الأزرار لنرى ما سيكون ، ولكن بحذر !! . . .

ما ان ضغط عصام على الزر رقم (٤) حتى برز أحد الأدراج أمامهم ، وكان يحمل نفس الرقم ، من تلقاء نفسه . . . هالهم ما وجدوه أمامهم . . . حلي وجواهر تخطف الأبصار ببريقها . . . وأحجارها الكريمة التي رصعت بها . . . كرروا العمل مع بقية أدراج الجهة اليمنى الأربعة ، وكانت كلها على نسق واحد ، مرتبة تحوي عدداً كبيراً من المجوهرات والأحجار الكريمة مختلفة الأنماط والأشكال . . فيما ضاقت أدراج الجهة اليسرى الأربعة أيضاً بالسبائك الذهبية من فئة الكيلو غرام ، وبواقع عشرة سبائك في كل درج . . .

استولت الحيرة والتردد على عقول الشبان الثلاثة ، ولم يدروا ما يفعلون ، فقال عصام بارتباك :

ـ أغلقها ياخالد ودعنا ننصرف من هنا قبل دخول أحدهم . . .

لم يوافق خالد على كلام عصام ، فأجاب متلفتاً حوله :

- لا يا عصام . . . بل يجب نقل كل ما تحويه الخزانة إلى مكان أمين . . .

لم يتوقع الآخران ، عصام ووليد ، هذا الطلب ، فحملقا في وجه خالد ليتأكدا من جدية ما يقول ، لكن خالداً لم يمهلهما ، فقد حثهما على القيام بما طلب بقوله :

- لا تقفا جامدين هكذا . . . أحضر حقيبتك يا وليد وأفرغ ما فيها من أدوات ، وأنت يا عصام إبحث لنا عن مكان أمين نضعها فيه هنا . . . وبسرعة . . .

لم يسعهما إلا تلبية طلب خالد ، وأسرعوا جميعاً بإفراغ محتويات الخزانة ، من أوراق النقد والمجوهرات . . . وأحكموا إقفال الحقيبة وحملوها إلى مكان اختاره عصام ، لا يلفت الأنظار ، في إحدى غرف القصر ، التي خصصت لنوم الخدم على ما يبدو ووضعوا الحقيبة تحت السرير الذي بدا عليه وكأنه استخدم حديثاً . . . ولكن عصاماً تخوف من استعمال الغرفة من قبل الحراس ، فأجابه خالد الذي أجال بصره في أركانها وقال وهو يهز رأسه بالنفي :

- لا أعتقد ، أنظر إلى المشجب . . . أن ما علق عليه معاطف بيضاء مما يلبسه الطباخون عادة . . . لا شك أنها غرفة الطهاة . . .

قال وليد :

- هيا لنقفل الخزانة قبل أن ننصرف من هنا . . .

رفض خالد أيضاً وقال :

- لا يا وليد . . . يجب إحضار الذهب إلى هنا ايضاً . . . هيا ولا تقفا هكذا . . .

تم ما قاموا به على وجهه الأكمل ، رغم الحذر والصعوبة والخطر الذي تعرضوا له . . . فقد اطمأنوا الى وضع السبائك إلى جانب الثروة الضخمة من المجوهرات ، عدا أوراق النقد الكثيرة العدد . ورتبوا كل شيء كما كان في الغرفة وأحكموا إقفال الخزانة أيضاً كما كانت قبل دخولهم . . . وأسرعوا مبتعدين عن المكان يقودهم فيتو إلى الخارج كما قادهم إلى الداخل . . وبدل سلوك الطريق التي أتوا منها، صعدوا برفقة فيتو أول درج صادفهم، ليجدوا أنفسهم في رحاب قاعة طعام فسيحة الأرجاء ، فاخرة الأثاث : أسرعوا باختراقها ونفذوا من أحد أبوابها العديدة . . . فوجدوا أنفسهم في ردهة تتشعب منها . . الممرات يميناً ويساراً وسلّم يصعد إلى الطابق العلوي ، وآخر يقودهم إلى الطابق الأرضي من القصر . . . كل هذا وهم يتراكضون حتى استوقفهم عصام ليقول :

- الآن ابتعدنا كثيراً عن جناح المطابخ ، فما علينا إلّا معرفة أين نحن . . فيتو . .

أخذ ينادي فيتو لكي يرشدهم إلى حيث يجد السيدة سعاد وليلى ، فيما

كان خالد يقول بدوره :

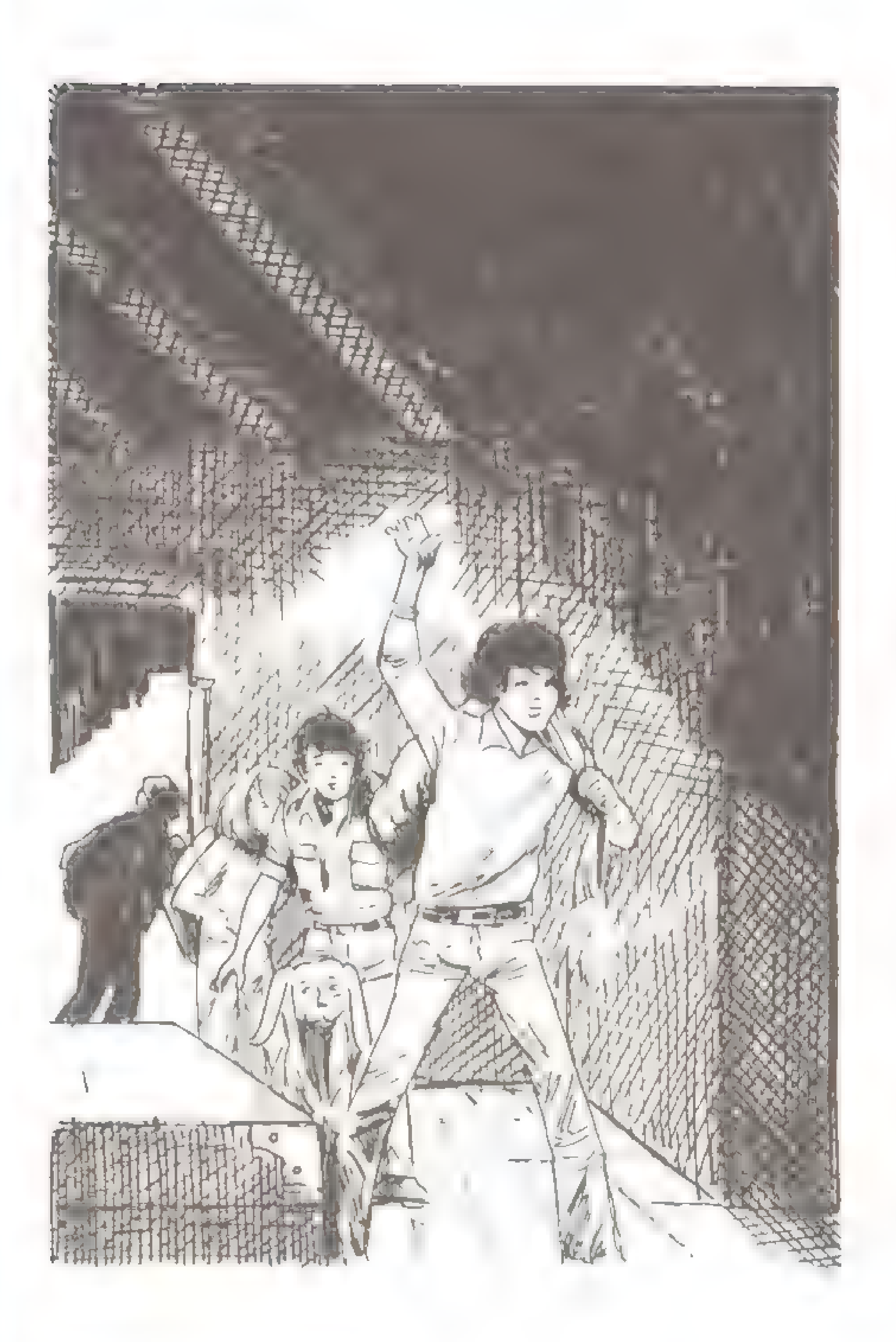
ـ لا أكاد أصدق ما فعلناه . . . لقد قمنا بعمل شاق ـ ولكن الأمور كانت كلها ميسرة والحمد لله . . . فالسهولة التي تم فيها العمل لا يصدقها عقل . . .

علق وليد على هذا العمل بقوله :

ـ ولكننا بعملنا هذا نعرِّض ثروة ضخمة جداً للضياع . . .

أجابه خالد بهدوء :

ـ لا يا وليد . . . العكس هو الصحيح . . . لقد أخفيناها في آخر مكان يمكن أن يفكر أحدهم في التفتيش عنها فيه . .



اللقاء

أمسك عصام بزمام فينو ، وسار وراءه ، فصعد على درج عريض قادهم فينو نحوه ، وعندما وصلوا إلى آخر درجة من درجاته حتى أطل عليهم المرشد ترافقه السيدة سعاد وليلى المنهمكين بالنظر إلى تحف القصر و . . . كل ما فيه . . . وقبل أن تتفوه إحداهما بكلمة ، قطع خالد عليهما سبيل الكلام عندما قال بغضب :

ـ أخيراً وجدناكم . . . لقد ضعنا بين الممرات والحجرات الكثيرة لدرجة خيل إلينا معها أننا لن نعرف طريق الخروج من هنا . . . وليس العثور عليكم فحسب . . .

أجابه المرشد بحزم :

ـ لو أنكم صعدتم السلم الذي أرشدتكم إليه لما ضعتم أبداً . . . لقد زودنا ردهات القصر وتقاطع ممراته بلافتات ولوحات ترشد الجميع .

قالت السيدة سعاد بأسف :

لقد فاتكم مشاهدة القصر والتعرف إلى قصته ، من ألفها إلى يائها كما

شرحها لنا الأخ المرشد . . .

وتوقفت عن الكلام وهي تنظر إلى أعضاء السيرك الحيواني معهم ، سرور وفينو وفصيح ، وقالت لهم باستغراب :

ـ أرى المجموعة برفقتكم . . . ما الأمر ؟ . . .

كان خالد أعد جواباً لسؤال كهذا ، لا يخلو من الدعابة ، فقال باسماً :

ـ لقد أعلنوا الإضراب عن البقاء في السيارة ، واتحدوا ضدنا . . .

أعجب رد خالد المرشد الذي ابتسم وقال :

ـ يبدو أنهم يكوّنون فريقاً متفاهماً !؟

قال هذا وهم يتابعون نزولهم نحو الردهة الكبرى في الطريق إلى الطابق الأول . . . فقادهم المرشد إلى جهة لم يروها حتى الآن وهو يقول :

ـ بقي عليكم مشاهدة جناح المطابخ . . . والمخبأ السري الذي وجدت فيه الخزانة الضخمة التي كانت حديث الصحف الأسبوع الفائت . .

وقبل أن يوافق الجميع على كلامه أو يجيبه أحدهم ، توقفت أمام مدخل القصر سيارة كبيرة الحجم سوداء اللون ، كانوا يشاهدونها وهي تخترق ممرات الحديقة بسرعة غير عادية في مكان كهذا . . . ولما كف

محركها عن الدوران قال المرشد بدهشة ، وهو ينظر الى ساعة في معصمه :

ـ يبدو أن لدينا زواراً . . . لا بد أن بعض السائحين يريدون زيارة القصر . .

التفت الجميع حول المرشد وهم ينظرون ناحية الزوار ، ولشد ما دهشوا عندما ترجل الشاب ـ ضالتهم برفقة فتاتين وشاب آخر ، يبدو أنهم من الأجانب يتوجهون إلى مدخل القصر أمام السلم الرخامي العريض . . . تقدم الحارس منهم يسأل عن الاذن بالدخول ، فاستأذن المرشد لينضم إلى حارس المدخل عندما سمعه يقول :

ـ أسف يا حضرات . . . فقد صدرت الأوامر بإلغاء التصاريح السابقة . . . فلا تؤاخذونا . . .

توجه الشاب نحو السيدة وليلى وبقية أفراد الفرقة وقال :

ـ ومع هذا المنع أرى بعضهم استثناهم هذا القرار من تطبيق هذه الأوامر . . .

غضب المرشد من هذا الاتهام ولكنه أحسن التخلص من هذا الموقف عندما أجاب بأدب وغيظ مكتوم :

ـ لا استثناء في الأمر يا سيد . . . يمكنك الحصول على إذن جديد صالح للزيارة كما فعل السادة . . .

ـ وأشار ناحيتهم . . . وهم ينظرون إلى الزوار الجدد وهم يتبادلون كلمات بلغة فرنسية تارة وإنكليزية تارة أخرى . . . بعدها قال الشاب المتعجرف وقد أبرقت عيناه بنظرة لم يستسغها خالد :

ـ إذن . . سأذهب على الفور إلى سيادة المحافظ لأحضر التصريح الذي تريد ، هل تسمح للسادة بالبقاء هنا حتى أعود ؟؟ . .

وللمرة الثانية رفض المرشد طلب الشاب وهو يقول بأدب وكياسة :

ـ أكرر أسفي ، سيدي ، فليس من سلطتي السماح أو عدم السماح . . فدون تصريح مقبول لا يمكني تحمل مسؤولية وجود أي شخص داخل القصر . . .

تأملهم الشاب مرة أخرى ، والتفت ناحية رفاقة ليتبادل معهم بضع كلمات استداروا على أثرها وهبطوا الدرج إلى حيث تنتظرهم سيارتهم ، فاستقلوها وذهبوا . . .

كان خالد يرقب تصرفاتهم من بعيد ، وقد أيقن أن الشاب ومن معه يعملون للحصول على محتويات الخزانة ، فأراد التحقق من هوية الشاب ، فتمتم كمن يسأل بصوت مسموع :

ـ يبدو لي وجه هذا الشاب أليفاً . . . كأنني رأيته سابقاً . . .

أدركت ليلى ماذا يريد أن يقول فوافقت على كلامه بقولها :

ـ وأنا كذلك . . . ولكن أين وفي أي مناسبة حصل ذلك : لا أدري . . .

إن المرشد يعرف هذا الشاب جيداً ، فقد كان في خدمتهم منذ زمن طويل ، فابتسم للحوار الدائر أمامه وقال :

ـ قد أساعدكم على تذكره . . . فهو علاء الدين كمال . . .

لم يكن الجميع يعرفون عنه شيئاً ، ولكن كل ما يعرفونه أنهم يزورون قصر يوسف كمال لا بد إذن أن يكون من سلالته . . . فلو صح ذلك لتم تفسير كل شيء وفي محاولة لاستدراج المرشد ودفعه للكلام بحرية قال خالد بدهاء :

ـ علاء الدين ؟ . . . علاء الدين كمال ؟؟ .

قالها متظاهراً بأنه يتذكر اسمه . . ثم قال فجأة :

ـ آه تذكرت . . لا أعتقد انه هو . . فمن أعرفه يسمى علاء الدين يوسف كمال . . .

أجابه المرشد بحماس .

ـ بلى . وهذا هو اسمه الكامل ، علاء الدين يوسف كمال . . .

كانت السيدة سعاد تصغي بانتباه شديد للحوار الدائر أمامها . وكان في داخلها يثور إحساس وشك في تصرفات خالد ، وشعرت أنه يهدف

لتحقيق أمر ما ، فهي لا تأمن تورطهم بمغامرة ما ، ولكنها لم تشأ إحراج خالد بطرح السؤال عليه أمام المرشد ، فتظاهرت بالنظر إلى ساعة معصمها وقالت وهي تصافح المرشد :

ـ لك جزيل الشكر على مرافقتنا . . .

صافحه الجميع فرداً فرداً وتوجهوا إلى السيارة مسرعين بالتوجه الى الفندق ، وقبل أن تغادر السيارة مدخل حديقة القصر ، نظرت السيدة سعاد نحو خالد وقالت تسأله :

ـ الآن . . . ماذا يجري ؟؟ . . . ما الخبر ؟ . . .

أجابها خالد بنبرة توحي بالبراءة :

ـ خبر ماذا يا ماما ؟؟ . .

ابتسمت السيدة سعاد وهي تقول :

ـ خالد . . . دون لفٍ أو دوران . . . أنا أمك وأعرفك . . ما سر إلحاحك على معرفة اسم الشاب ؟؟ أنا أعلم أنكم شاهدتم وجهه في الفندق ولم يثر عندكم هذا الفضول فما السبب لعملكم هذا ؟؟ . . .

أسقط في يد خالد ، وصار لزاماً عليه إخبارها ، أو على الأقل وضعها في الجو الذي يعيشون فيه ، لذلك قال لها :

ـ إنه ابن صاحب هذا القصر .

انتظر خالد أن تندفع والدته لتكثر من طرح الأسئلة لمعرفة ما يجري ولكنها أخفت دهشتها وهي تقول ببرود ، متسائلة باستخفاف :

ـ وماذا في ذلك ؟؟ ليكن من يكون . . . ماذا نريد نحن منه ؟ . . .

استنكر خالد تجاهل والدته وقال بحدة :

ـ فيه الكثير يا ماما ؟ . . . ألم يقص عليكم المرشد حكاية الاكتشاف الذي تم هنا . . .

انتبهت السيدة سعاد لكلام خالد وما يعنيه ، فقالت:

ـ تقصد الخزانة ؟ . . .

أجابها خالد على الفور وبحماس :

ـ نعم يا ماما . . . ألا يثير الشك في نفسك وجود ابن صاحب هذا القصر سابقاً ، هنا بعد نشر أنباء اكتشاف الخزانة وبالتالي طلب إرسال خبراء لفتحها من قبل الدولة ؟ . .

سكت برهة فهو لم يعتد إخفاء أمر عنها أو عن أبيه المفتش جميل ، فكانت النار تأكل فؤاده لإخفائه السر عنها ، لذلك أردف قائلاً :

ـ ماما ، ما تعودنا إخفاء أي أمر عنك . . . لقد قمنا بعمل وفر على البلاد ثروة طائلة حضر هذا « العلاء الدين » للاستيلاء عليها . . .

كست علامات الدهشة والقلق وجه السيدة سعاد ، وبدا الاهتمام لما يقوله ولدها على محياها ، فسألته :

ـ خالد . . ماذا فعلتم ؟ . .

كانت السيارة تقترب من الفندق ، وقدر أن الكلام عن تنفيذ العملية يستغرق وقتاً لا بأس به ، وهو لا يريد إضاعة لحظة مما بقي أمامه قبل وصول والده فحاول أن يتملص من الحديث مع والدته فقال لها :

ـ سأقص عليك كل شيء فيما بعد . . . وعليَّ الآن الذهاب فوراً ، وبسرعة إلى مديرية الأمن للإبلاغ عن ما فعلناه . . .

منعته السيدة سعاد من تنفيذ ما يريد ، فقالت وقد نفذ صبرها :

ـ خالد . . لن تذهب ، أنت أو سواك ، إلى أي مكان قبل إخباري جلية الأمر . ثم لا تنسى أن والدك سوف يصل بعد ساعات قليلة . . .

ابتسم خالد وقال لأمه بأدب جمٍّ :

ـ ما باليد حيلة ، دعونا ندخل وأثناء تناول طعامنا سأقص عليك ما حدث كاملاً

ورطة وحلّ

في ركن منعزل نسبياً في صالة الطعام بالفندق ، قبع علاء الدين ورفاقه يتناولون طعامهم وهم يتبادلون حديثاً هامساً بينهم والانفعال ظاهر على وجوههم ، فلما وقع نظرهم عليهم ، همس خالد في أذن والدته :

ـ ماما . . . سنجلس بالقرب من مائدتهم وسأدعك تسمعين ما يثيرك فعلاً . .

وبحزم أجابت السيدة سعاد على طلب ابنها بالقول :

ـ فعلاً أريد أن أسمع . . ولكن منك أنت وليس منهم . .

لم يكن بوسع خالد رد طلب والدته ، فما تعود أن يرفض القيام بما تطلبه منه ، فانصاع لأمرها وتبعها وهي تختار مائدة ، منعزلة هي الأخرى ، في الجانب المقابل تماماً لمائدة الأمير علاء الدين ، وبعدما استقروا على مقاعدهم قالت السيدة سعاد :

ـ الآن هات ما عندك يا خالد . .

قصَّ عليها خالد القصة من ألفها إلى اللحظة التي هم فيها ، وهي

تصغي والدهشة تستولي على كيانها . . . وقد ظهرت في فترات متقطعة علامات الغضب على محياها ، فيما كانت تظهر علامات الإعجاب من وقت لآخر . . . فقد كانت تتساءل ، وهي تصغي لما يقول ، كيف تم كل هذا وبهذه السرعة ؟؟ . . . حتى إذا انتهى كلام خالد ، قالت محذرة :

ـ سيغضب والدك من تصرفكم أشد الغضب . . . .

سألها بقلق :

ـ ولماذا يغضب ؟ . . . لم نقصد من القيام بعملنا إلا أداء الواجب المفروض علينا وعلى كل مواطن غيور على مصلحة وثروة هذا البلد المعطاء الذي لنا شرف الانتساب إليه . . .

ولكنها ما اقتنعت تماماً بوجهة نظره ، لذلك أجابته بقولها :

ـ هـــذا صحيــح . . . ولكن . . . لكي نحق الحق نــرتكب الباطل ؟؟ . . . لقد خرقتم القانون بهذا التصرف . . . والاستهتار بحرمة القانون يعد جريمة أشنع من كل الجرائم ، لأنه البداية لارتكاب أي حماقة . . . فكيف تسمحون لأنفسكم حتى بمسّ محتويات الخزانة ، وليس فقط نقلها إلى مكان اخر ، وهي ليست ملكاً خاصا لكم ؟؟ . . كيف ؟؟ . . .

ساد الصمت فيما كانت نظراتهم تتجه إلى ما بين أقدامهم لإحساسهم بالندم على ما قاموا به عن حسن نية . . . واضطربت تصرفاتهم ولكن

صوت السيدة سعاد أعادهم إلى الواقع الذي حاول كل منهم الابتعاد عنه بخياله ، متجهاً بتفكيره لما عساه أن يحصل . . . فسمعوا السيدة تقول لهم :

ـ أرى أن تنتظروا وصول المفتش لتضعوا الأمر كله بين يديه ، لعله يقدر على تخليصكم من هذه الورطة . . . وهو وحده الذي بإمكانه معالجة الموضوع بطريقة تبقيكم بعيدين عن المشاكل . . .

لم يوافقوا في أعماقهم ، على رأيها ، وظهرت علامات الرفض على وجوههم ، فقد أطرقوا واجمين بعد أن تغيرت ملامحهم ، مما دفع السيدة سعاد إلى القول . . .

ـ ما لكم وجمتم كان على رؤوسكم الطير؟ لا أشك لحظة أنكم توجهون اللوم لأنفسكم لمكاشفتي بالحقيقة . . . أليس كذلك ؟؟

استجمع خالد قواه المبعثرة وحاول الدفاع عن الجميع حيال اتهام والدته لهم جميعاً ، وبصراحته المعهودة قال :

ـ لا يا ماما . . . فنحن ما تعودنا إلاّ مصارحتك بكل شيء ، ولكننا ما توقعنا منك حشرنا في وضع دقيق وموقف حرج حيال والدي . . .

ابتسمت بحنان لتقول :

ـ أنا الذي أضعكم في موقف حرج ؟ . . . نسيتم أنكم غرقتم حتى

آذانكم في هذه اللعبة الخطرة ؟ . . . هل عرفتم رأيي قبل إقدامكم على عملكم هذا ؟؟ . . .

تدخل عصام في الحوار ليقول مدافعاً :

ـ كان تصرفنا لحماية الثروة الضخمة التي تحتوي عليها الخزانة من الأشرار لحين تدخل الشرطة التي سنخطرها بكل شيء . . . وقد رأيت بأم عينك ذلك الشاب يحاول دخول القصر للقيام بما قمنا نحن به والهرب بهذه الثروة ولو لم يعترضه المرشد لكان في هذه اللحظة يعالج أقفال الخزانة لا محالة . . .

كانت السيدة سعاد شاردة الذهن تحاول تذكر أمر ما ، وهي تصغي إلى كلمات عصام ، وقبل أن ينتهي من كلامه رفعت حاجبيها وأشرق وجهها وقالت لهم :

ـ خالد . . . فُرجت . . . أعتقد أننا أغفلنا أمراً هاماً . . .

أبرق الأمل في عيونهم وهم ينظرون إليها تتابع كلامها :

ـ هل نسيتم عمكم المفتش صفوة ؟؟

أشرقت وجوههم من جديد ، فقد دب الأمل بالتخلص من هذا الموقف يفعم صدورهم ويعمر قلوبهم . . . فقالت ليلى :

ـ عمي المفتش صفوة ؟ وكيف ننساه ؟؟

سألها خالد مستفسراً :

- وما صلته بما نحن فيه وبهذه القضية ؟؟ .

ضحكت السيدة سعاد ملياً قبل أن تقول :

- حقاً . . . ما زلتم تجهلون أنه رقي إلى رتبة عقيد وأسندت إليه مهمة حفظ الأمن في هذه المنطقة ، فهو رئيس المباحث هنا . . . .

تهللت وجوههم جميعاً بالبشر ، وقارب الأمل الذي فكروا فيه أن يكون حقيقة واقعة ، وفي غمرة ذهولهم لهذا الخبر ، هب خالد كالمجنون وهو يهتف :

- عمي المفتش صفوة هيا ؟ . . . يا إلهي . . . لماذا كتمت الأمر عنا يا ماما ؟؟ . .

واتجه إلى مدخل الفندق وهو يقول :

- سأذهب اليه على الفور . . .

استوقفته السيدة سعاد ، بعد أن خطا الخطوة الأولى بقولها وهي تبتسم مشاركة لهم في فرحتهم ومعبرة عن فرحتها بهم كذلك :

- الأفضل لو اتصلنا به هاتفياً ليحضر هو . . .

وافق وليد على كلام السيدة سعاد وقال ، فيما استدار خالد نحوهم ليأخذ مكانه :

- نعم . . . هذا أفضل حتى لا نكون في واجهة الأحداث قبل وصول المفتش جميل . .

تحرك خالد على الفور ، وحتى لا يتأخر بالقيام بواجبه ودون أن يثير الشبهات حوله ، صعد إلى غرفته ومن هناك أجرى اتصالاً هاتفياً بالمفتش صفوة الذي فرح عندما تأكد من هوية محدثه على الطرف الآخر للخط وقال :

- خالد ؟ . . . ومن أين تتحدث ؟ . .

أجابه خالد بفرحة عارمة :

- من الفندق يا حضرة المفتش . . . والدتي وأبناء أعمامي معي وبابا سيعود الليلة من العاصمة . . . على فكرة مبروك الترقية .

سكت خالد ليسمع المفتش صفوة يقول :

- بارك الله فيك يا خالد . . . انتظروني في الفندق . . . لن أتأخر عن الحضور إليكم . . .

أجابه خالد :

- عمي . . . إذا حضرت أرجو أن تطلب الغرفة رقم ٤٦ ، فنحن مجتمعون فيها . . . تركت كلمة الاجتماع صدى في نفس المفتش صفوة . فقال يسأل خالداً بلهفة :

ـ خالد . . . هل بكم شيء . . .

لو استطاع خالد إخباره على الهاتف لفعل ، ولكنه أجابه باقتضاب مشيراً الى وجود قضية هامة ، فقال :

ـ نعم يا عمي . . . ستعرف عند حضورك كل شيء ، فما كنا نعلم بوجودك هنا لولا أن أخبرتنا ماما بالأمر ، وهي نصحتنا بالإتصال بك . . .

ودَّعا بعضهما في نهاية المكالمة، وهبط خالد إلى الفندق مبتهجاً، سيجد لهم المفتش صفوة ، دون شك ، مخرجاً من هذه الورطة التي اندفعوا في معارجها دون حساب العواقب . . . وقبل أن يسأله أحدهم عما جرى قال :

ـ سيحضر إلى هنا ، ولكنني طلبت منه موافاتنا الى غرفتنا .

نظرت إليه السيدة سعاد باستغراب وقالت :

ـ ولماذا في غرفتكم ؟ . . .

أجال بصره في المكان الذي بدأ يزدحم بنزلاء الفندق وأشار بنظرة من عينيه إلى ناحية الأمير علاء الدين الذي لم يغادر مكانه منذ دخولهم، فيما كان نادل المطعم يقدم له ولرفاقه القهوة . . . وأجابها بثقة وحزم وهو يشرح موقفه :

ـ إن عمي ، المفتش صفوة ، أشهر من أن يعرف عنه ، . . . وهو لا

شك معروف من السيد علاء الدين . . . فإذا ما رآه معنا هنا ، وكنا في القصر حين رفض طلبه فلا شك بانه سيربط الآحداث ويستنتج وجود علاقة بما هو موجود لأجله ، لأن من يقوم بعمل غير قانوني يسيء الظن بكل شيء فضلاً عن أنه يخاف وجود رجال الأمن مكان تواجده . . خاصة إذا علم بحادث الخزانة في صحف اليوم ، تعلنه شرطة المنطقة . . .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وكانت أشدهم استغراباً ليلى التي سألت :

ـ ومن قال أن الشرطة ستعلن عن الحادث ؟ . .

ابتسم خالد بدهاء وهو يجيبها بالقول :

ـ أنا سأطلب من عمي المفتش صفوة نشر هذا الخبر حتى يسقط ابن الأمير السابق ، ذلك السفاح ، في الشرك . . .

رفضت السيدة سعاد هذه الفكرة وقالت ، وهي تهز رأسها بنفي قاطع :

ـ لا . . . سأرجو عمكم المفتش صفوة كتم الأمر ريثما يصل والدك . . لا نريد متاعب في أي نوع حتى لا نفسد علينا الاستمتاع برحلتنا . . .

غضب الأمير

غادروا المكان قبل وصول العقيد صفوة ، وقبل وصولهم إلى المصعد صادفهم رجل أشعث الشعر ، أغبر الوجه ، نظيف الثياب ، فلو تأملوا فيه ملياً لما شكوا لحظة أنه على صلة بالقضية التي يحاولون الانتهاء منها بعد أن فوّتوا على الأمير علاء الدين فرصة القيام بها .

توقف الرجل عند مدخل الصالون، والغضب ظاهر على محياه، وبعد أن أجال بصره في أرجاء البهو الواسع ، لمح في ذلك الركن القصي الأمير علاء الدين ورفاقه يرشفون القهوة ، فتقدم منه بخطى واسعة وسير حثيث ، كأنما يريداختصار المسافة التي تفصلهم عنه . . . وما أن وصل إلى المائدة حتى انحنى باحترام جم ورشاقة لا مثيل لها ، تدلان على طول ممارسته لهذا النوع من الخضوع الذي اشتهر أبناء تلك الطبقة البائدة بالقيام به . . . فهي تبالغ في تقديم الاحترام والمجاملات .

نظر إليه علاءالدين بدهشة ،وبهت لما رأى الغضب بادٍ في ملامحه ونظرة عينيه ، ولكنه سمعه يقول

ـ علاء . . . إلحق بي على الفور . .

وسار متجهاً إلى الخارج ، فيما اعتذر علاء من رفاقه وتبعه إلى حديقة الفندق حيث اختارا مقعداً نائياً منها .

استبد القلق بعلاء وهو يقترب من الزائر الغاضب ، وقال بلهفة :

ـ ما القضية يا عمي . . . لماذا تركت مكانك وأتيت الفندق ، في وضح النهار ، وعلى هذه الصورة ؟

أجابه عمه بغضب :

ـ كان يجب إبلاغك بخبر خطير . . . لقد فتح بعضهم الخزانة . .

امتقع وجه علاء الدين وقال باستنكار :

ـ ولكن هذا مستحيل يا عمي ؟ . . . ماذا تقول ؟ . . . أكاد لا أصدق ؟

ودون أن ينبث ببنت شفة أخرج الرجل الغاضب من جيب سترته خاتماً ذهبياً بديع التكوين مرصعاً بحجرٍ ماسيٍّ كبير نسبياً ، وقدمه لعلاء الدين وهو يقول :

ـ هل تعرف هذا الخاتم ؟

ازدادت دهشة علاء وهو يتناول الخاتم من يد عمه ، وما أن نظر إليه حتى قال :

- إنه خاتم والدي . . . ولكن كيف حصلت عليه ؟؟ . . .

أجابه عمه بتهكم :

- بالطبع . لم يصل إلي ضمن طرد بريدي . . . لقد عثرت عليه في غرفة الخزانة وأمامها . . . هل لك توضيح هذا الأمر لي : كيف أجده على الأرض وكلنا يعلم وجوده ضمن محتويات الخزانة ؟؟ . . .

اتسعت حدقتا علاء الدين واتقدتا بشرر غريب ، واحمر لون بياضهما وقال بوحشية إلى درجة خيل معها لمن يسمعه أنه يطلق عيارات نارية وليس كلاماً . . .

- مستحيل . . . مستحيل فتحها وأنت تعلم ذلك جيداً . . .

أجابه موضحاً :

- كنت في الغرفة السرية عندما تناهى إلى سمعي صوت أحاديث في الممر . . . وسمعت أصوات ثلاثة شبان تقريباً . . . وبعدها سمعت أصواتاً نسائية معهم . . . لا أشك أنهم يشكلون فريقاً أو مجموعة واحدة للسرقة . . .

هز علاء الدين رأسه وتحيّر بين أن ينفي أو يؤكد ولكنه قال :

- لقد رأيت عدداً مماثلاً لما تقول عند زيارتي للقصر . . . ولكن ذلك المرشد الغبي منعنا من الدخول بينما سمح لهم بذلك . . . ولكن . . . قد

يكونوا من السائحين . . . لماذا نظلمهم ؟؟ . . .

وكف علاء الدين فجأة عن الكلام . . . وبعد لحظة قصيرة قال بحزم :

- سأحضر الليلة وستتأكد من الأمر سوية . . . المهم هو عودتك إلى مكانك الآن وعدم التجول في المنطقة حتى لا يتعرف عليك أحد . . . وإلا كانت العاقبة وخيمة . . .

نهض الزائر الغاضب وقال وهو يهم بالانصراف متوعداً :

- سأذهب الآن . . . ولكن ثق بأنني لن أغفر أبداً إذا ما تسربت الرسالة إلى أحد سواك وسبقنا إلى هناك واستولى على محتويات الخزانة قبلنا . . .

قال ذلك وانصرف تاركاً علاء الدين نهباً للقلق وللتفكير بما عساه قد حصل . . . فقد قبع مكانه مطرقاً مفكراً يضرب أخماساً بأسداس . . .

النهاية ؟ !

كان الصمت يسود المكان وفي الساعات الأولى للفجر فيما كان المكان مطوقاً من قبل رجال الأمن الأشاوس بإمرة العقيد صفوة . وكانت الحراسة مكثفة في جناح المطابخ ، لأنه المقصود من العملية . . .

صدر الأمر للحارس الخاص بالبقاء في مكانه ، ولما اطمأن إلى وجود رجال الأمن بكثافة في القصر ، فقد سمح لنفسه بأخذ قسط من الراحة فراح في سبات عميق بعد أن داعب النعاس أجفانه . . . وفجأة . استيقظ مذعوراً على صوت أجش يأمره :

ـ أية حركة وتكون نهايتك . . .

وقبل أن تمتد يده إلى سلاحه ، أحس بألم في صدغه ، فقد كانت يد تمتد بمسدس موجه إلى رأسه وبسرعة البرق ؛ انقض زميل آخر للمجرم وكمم الحارس ، وتعاونا على تقييده . . . وأسرعا بدخول القصر . . . سارا تواً باتجاه الردهة الموصلة إلى جناح المطابخ ، وعندما وصلا إلى قرب الباب الزجاجي الأزرق ، توقف الأول ، وكان علاء الدين ، لينقر على

حائط ناحية اليمين ، نقرات عدة استدار قسم من الحائط على نفسه ليبرز خلفه عمه ذلك الرجل الأشعث الشعر ، فقال بشراسة والشرر الغاضب يتطاير من عينيه :

ـ لماذا تأخرت ؟ كدت أيأس من حضوركم . . .

أجابه علاء الدين وهو يحثه على الخروج :

ـ تحينت الفرصة المناسبة للخروج دون لفت الأنظار إلي . . . الآن هيا بنا ، دون إضاعة للوقت . . .

صاروا ثلاثة ، بعد انضمام عمه إليهم ، وساروا فوراً إلى غرفة الخزانة ، فهم يعرفون مكانها جيداً . . . وبدأ علاء الدين في تنفيذ التعليمات الواردة في الرسالة ، وقبل أن يفتح الخزانة انزوى جانباً ، وقلبه يخفق بشدة من المجهول المنتظر . . . وأخيرا تسمرت رجلاه في مكانهما ، وجحظت عيناه وكادت أنفاسه تتوقف وجمدت يده على مقبض الخزانة عندما رأى الخزانة خاوية ، فارغة من كل شيء . . . وبعد برهة استدار بحدة ومسدسه مصوب إلى عمه وهو يقول بحدة ، وبصوت رهيب مفزع

ـ لقد فعلتها يا عمي ؟ . إنها لعنتك . لقد انكشفت . . .

زجر العم بغضب ، وقال مستنكراً تهمة علاء الدين يتوعد ويتهدد هو الآخر :

- علاء . . . احترس لتصرفك . . فمن تستطيع خداعي . . . إفهم ذلك . . .

أراد العم الاسترسال بالدفاع عن نفسه والتهديد في نفس الوقت ، ولكن الأنوار أحالت ظلام المكان إلى قريب من ضوء النهار جعلتهم يلتفتون بذعر وأيديهم على عيونهم إتقاء للنور الباهر . . . ولما تسنى لهم الرؤية كان المفتش صفوة وجمع من خيرة جنوده يقفون أمامهم ورشاشاتهم مصوبة إلى صدور وظهور المجرمين الثلاثة ، فقد أحاطوا بهم من كل جانب . من أمامهم ومن خلفهم وعلى جنوبهم . . . فأسقط بيدهم فيما كان المفتش صفوة يصدر أوامره قائلاً :

- إلق سلاحك يا علاء الدين . . . وارفعوا أيديكم جميعاً .

لم ينتظر علاء الدين صدور الأمر له ، فقد سقط المسدس من يده ، من تلقاء نفسه من هول المفاجأة ، ورضخ الجميع للأمر مصعوقين .
وازداد حنقهم عندما ظهر الشبان الثلاثة من أحد أبواب الجناح يسبقهم فينو وسرور فيما أخذ فصيح مكانه على كتف خالد الأيمن ، يرافقهم هذه المرة المفتش جميل الذي حضر في الساعة السابعة وعلم بما حدث من خالد نفسه ، وتوجه خالد فوراً إلى الغرفة التي أخفوا فيها محتويات الخزانة وما كادوا يظهرونها حتى انحنى المفتش جميل يقبل الشبان الثلاثة بحنان غامر وهو يقول :

- اهنئكم يا رجال الغد . . . لم يكفهم ما نهبوه ، هؤلاء المجرمون ، من ثروة الوطن ، فعادوا يكملون ما بدأ به آباؤهم .

قال المفتش ، العقيد صفوة ، بمرح ، وفرحة النصر تغمر كيانه ، وقد أمسك بعم علاء الدين وجعله يستدير نحوهم :

- ألا تعرفه يا سيادة المفتش ؟ . . . أنه أخو يوسف كمال . . . الذي كان يلقب بالجلاد .

انكب رجال الأمن يجردون ويحرّرون ما كان موجوداً بالخزانة تمهيداً لنقله إلى خزانة الدولة العمومية ، فيما كان سرور يقترب من علاء الدين ليخرج ، وسط دهشة الجميع وذهولهم ، وحنق المجرمين الثلاثة ، الخاتم الرائع من جيب سترته الأيمن ، وقدمه إلى خالد .

ازداد إعجاب الجميع بسرور ، ولكن خالداً قال وهو يسلم الخاتم إلى المفتش صفوة :

- لقد شاهده سرور في حديقة الفندق وهو يتسلم هذا الخاتم من عمه ويضعه في جيبه ، فقد سقط منا دون أن ندري ، أثناء نقل المجوهرات . . . وقد حاول سرور شرح الأمر لي ولكنني لم أفهم ما يريد . . . فتحين الفرصة لإخراجه وتوضيح الأمر لي . .

تناوله المفتش صفوة وهو يقول معلقاً :

ـ فعلاً ، لم تعد بحاجة إليه أيها المجرم ، فلا لزوم لوضعه في إصبعك في غرفة السجن الذي ينتظرك ورفاقك . . .

ربت المفتش جميل على عنق سرور وقال :

ـ سرور هايل . سرور عظيم . . .

نفخ سرور أوداجه وقام بعدة حركات تعبر عن فرحه بما سمع ، ولكن فصيحاً لم يسمح له بالتنعم بهذه الفرحة ، فقال :

ـ فصيح عظيم . . . فصيح هايل . . . سرور غبي . . .

وقفز إلى كتف المفتش جميل مما أسقط في يد سرور فهو يحترم المفتش ، لذلك لن يؤذيه طالما احتمى به . . . ولكنه رماه بنظرة متوعدة غاضبة وهو يصفر ويشير بيديه إلى انتقامه منه عما قريب .

انتهت

طبع في دار النحاس ـ ص.ب : ١١/٦٣٤٧ ـ هاتف : ٨١٠١٩٤ ـ بيروت

لئن كانت غاية القصة «البوليسية» جذب القارئ، وشدّه إلى متابعة أحداثها، وتعويده على دقة الملاحظة، وحضور البديهة.. إن كتّابها لم يراعوا - في الغالب - العرض الفنّي والأدبي، ولم يهتموا بالجانب الخلقي، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب، فلقد أضروا من جوانب شتى.

في قصتنا «البوليسية» هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع، والاعتزاز بالخلق الرفيع، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحضّت عليها.

بالفخر الكبير، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق.. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال.



صدر من

«المغامرون الاذكياء»



المغامرين الأذكياء

القصر المهجور

١٦

دار النفائس


ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net